

# شرح الخطبة الكبرى للصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام

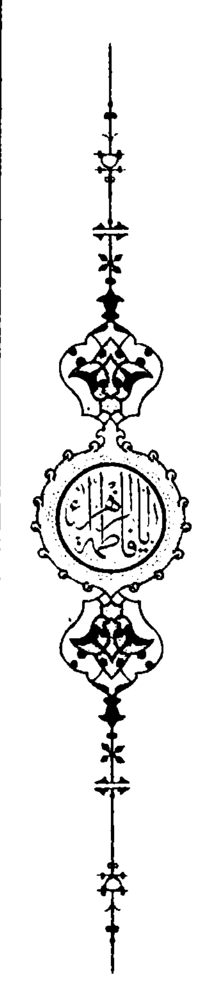
العلامة المولى محمد باقر المجلسي قدس سره




إعداد

أسعد السيد كاظم القاضي

# شرح الخطبة الكبرى
# للصديقة الكبرى
# فاطمة الزهراء عليها السلام



## العلامة المولى محمد باقر المجلسي

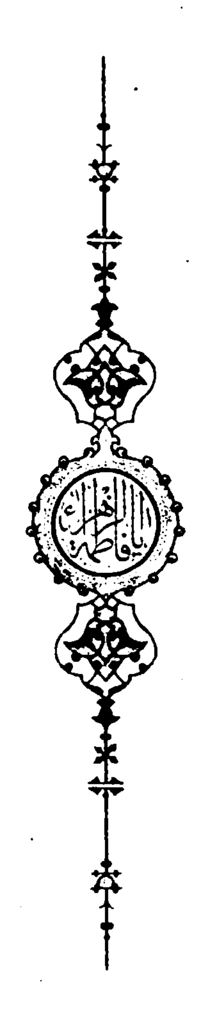
إعداد

## أسعد السيد كاظم القاضي

| | | |
|---|---|---|
| المؤلف | : | المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، ١٠٣٧ ـ ١١١١ هـ.ق |
| العنوان و المؤلف | : | شرح الخطبة الكبرى للصديقة الكبرى فاطمة الزهراء / تأليف: محمّد باقر المجلسي اعداد: اسعد السيد كاظم القاضي |
| الناشر | : | قم، باقيات (للطباعة و النشر)، ١٤٣٣ق = ٢٠١٢م |
| عدد الصفحات | : | ٤٨ ص |
| الايداع الدولي | : | ١٠٠٠٠ ريال ISBN 978 - 600 - 213 - 044 - 0 |
| الموضوع | : | فاطمة الزهراء (س) ـ الخطب |
| التسلسل الرقمي | : | ١٣٩١ ٤ ش ٢٣ م / ٢٢ / ٢٧ BP |
| التسلسل الديويي | : | ٢٩٧ / ٩٧٣ |
| رقم المكتبة الوطنية | : | ٢٧٤١٣٧٨ |





**شرح الخطبة الكبرى للصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام**

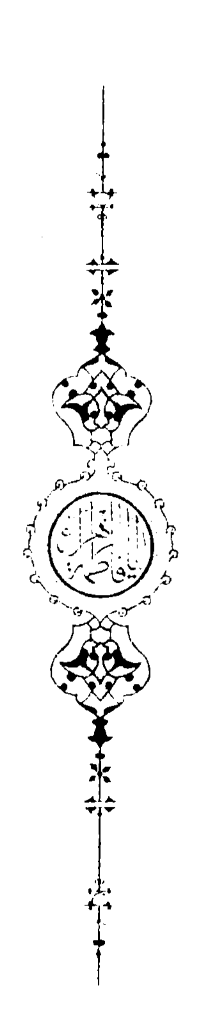
**العلامة المولى محمّد باقر المجلسي**

- اعداد: أسعد السيد كاظم القاضي
- الناشر: باقيات
- المطبعة: وفا
- الطبعة: الاولى ـ ١٤٣٣ هـ . ق
- العدد: ٢٠٠٠ نسخة
- رقم الايداع الدولي: ٠ ـ ٠٤٤ ـ ٢١٣ ـ ٦٠٠ ـ ٩٧٨
- السعر: ١٠٠٠ تومان



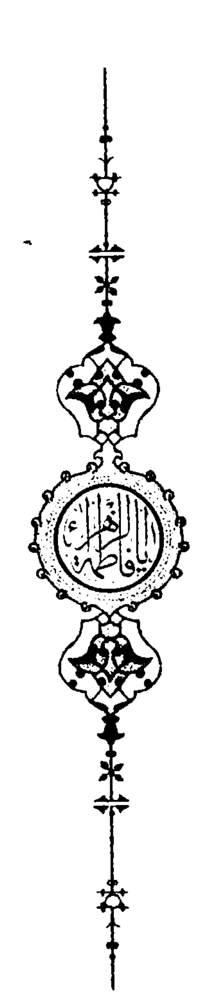
باقيات (للطباعة و النشر)، ايران، قم، شارع معلم، زقاق ١٥

هاتف: ٧٧٤٣٩٠٠ (٠٢٥١) ـ جوال: ٠٩١٢ ٢٥٢ ٥٦٢٥




بسم الله الرحمن الرحیم

# المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين، إلى يوم الدين.**

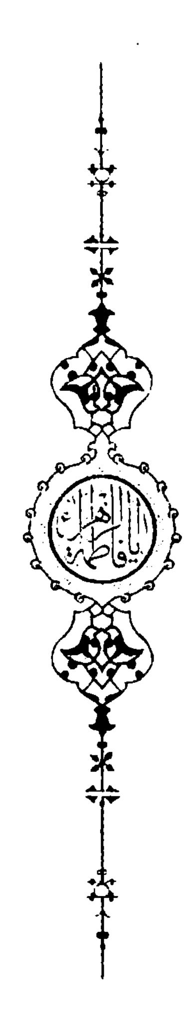
وبعد..

أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه مفارقاً هذه الحياة الفانية، التي حُفّت بالمكاره، وأتيحت الفرصة لمن كان ينتظرها بفارغ الصبر كي يغتنمها، فراح يعيث في الأرض الفساد، فاتحاً للأمة باباً من الجور لا يُغلق أبداً، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

في غضون ذلك وضع المستولون أيديهم على ما تركه النبي صلى الله عليه وآله من ميراث، ليمنعوا سيدةَ النساء عليها السلام حقها منه، متذرّعين - لتبرير موقفهم - بحديثٍ تفردوا بروايته عن النبي صلى الله عليه وآله يتضمن عدم توريث الأنبياء عليهم السلام للمال، فقابلت

الصديقة عليها السلام ذلك الحديث المفترى وتلك الدعوى بالآيات التي تصرح بأن الأنبياء يورثون، كما بيّنت بعض الأسباب التي دعتهم إلى ما فعلوا، كلّ ذلك في خطبتها الكبرى التأريخية التي نحن على أعتابها.

هذا، وقد تمّ الاستيلاء ـ أيضاً ـ على أرض فدك، تلك الأرض التي أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله ـ بعد أن أصبحت ملكاً له صلى الله عليه وآله خاصة لم يشركه فيها أحد من المسلمين ـ أن يدفعها إلى ابنته الصديقة الزهراء عليها السلام، فنفذ صلى الله عليه وآله أمر ربه، وأشهد على ذلك الشهود، وغرس هو صلى الله عليه وآله فيها أحدى عشرة نخلة بيده الشريفة، فبقيت فدك تحت تصرف الصديقة الزهراء عليها السلام إلى أن استولى عليها أئمة الجور.

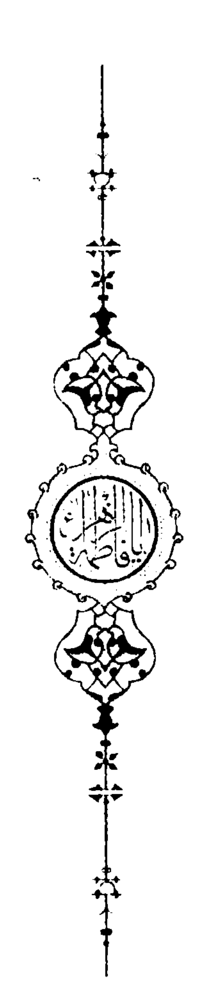


ولو لم يكن هناك سبب تستحق به الصديقة عليها السلام فدك إلاّ كونها صاحبة اليد لكفى، ولمَا كان لأحدٍ الحق بمطالبتها بالبيّنة، فهي لم تدّع شيئاً حتى تحتاج إلى بينة، بل المدّعي ما في يدها عليها السلام هو المحتاج للبيّنة، في حديث مفصّل أُشبع به الكلام في موضعه.

وما عساني أن أكتب ـ عاجلاً ـ عن خطبة الزهراء عليها السلام، حيث لم تكن هذه الخطبة الشريفة بِدعاً من الخطب التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، والتي سمت عن كلام المخلوقين أجمع، ولا عجب، فهي عليها السلام العارفة بأساليب

الكلام ومداليله، المهيمنة على إلقاء الحجج وإفحام الخصوم، من دون أن تخرج عن التعاليم الإسلامية في آداب الاحتجاج، وكيف لا تكون كذلك وهي عليها السلام ابنة النبوة، وربيبة الوحي، والعالمة المعصومة المنزّهة، التي جعلت القرآن نصب عينيها في استدلالها واحتجاجها.

وقد يتراءى للبعض أن الصديقة عليها السلام قد طالبت بفدك في خطبها هذه، لكن لا يخفى على ذي بصيرة أنها عليها السلام لم تتعرض ـ في خطبتها ـ لفدك، لا من قريب ولا من بعيد، وما كانت احتجاجاتها وبراهينها وتوبيخ الحاضرين بالتغاضي عن ظلامتها إلا من أجل المطالبة بالميراث، وإثبات أن الأنبياء يورثون، وأنها ترث أباها صلى الله عليه وآله، شأنها شأن باقي الناس.



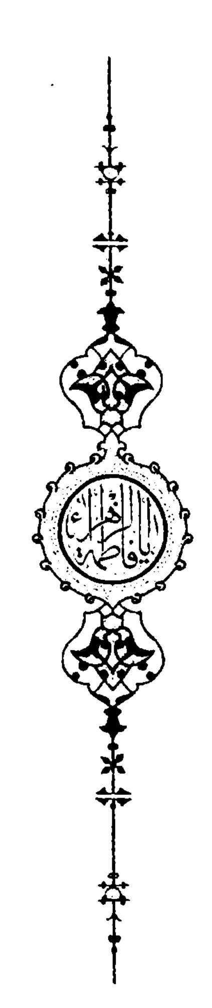
ونظراً لأهمية هذه الخطبة الشريفة تناقلتها الرواة في كل جيل وزمان حتى وصلت إلينا، ونحن ـ وبدورنا التبليغي ـ علينا أن نوصلها ـ وأمثالها ـ إلى الأجيال اللاحقة، من أجل أن يبقى هذا التراث العظيم، تراث أهل البيت عليهم السلام حيّاً على طول الزمان، ويبقى الفكر والثقافة التي تبنّتها خطبهم عليهم السلام باقية ما بقي الدهر.

وبما أن هذه الخطبة الشريفة تضمنت مطالب مهمة، عقائدية وغيرها، كما واشتملت على كلمات واستعمالات لا يسهل على كل أحد فهمها ومعرفة المقصود منها، تصدّى

عدد غير قليل لشرحها، فمنهم من أطنب ومنهم من اقتصر، وكان من ضمنهم العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره، حيث شرحها شرحاً موجزاً، في كتاب (بحار الأنوار) عند ذكره للخطبة الشريفة، فأحببت نشره مستقلاً، ليدخل في عداد الشروح، فهو لا يخلو من فائدة.

ولما كانت طريقة العلامة المجلسي قدس سره في شرحه الأحاديث والخطب هي ذكر الحديث أو الخطبة بكاملها، ومن بعد ذلك يقوم بشرح المفردات الغريبة وبيان ما يريد من ملاحظات، فعمدت إلى تقطيع الشرح وجعله هامشاً لكل فقرة من فقرات الخطبة، ليكون أسهل في التناول.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلني من خدام أهل بيت نبيه (عليه وعليهم السلام)، لأشمل بدعائهم ورعايتهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.




أسعد السيد كاظم القاضي

١٥ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ

# مصادر الخطبة الشريفة

هذه الخطبة المشرّفة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصة والعامة بأسانيد متضافرة[1].

١. قال عبد الحميد ابن أبي الحديد في شرح كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف، عند ذكر الأخبار الواردة في فدك، حيث قال:

«الفصل الأول: فيما ورد من الأخبار والسِيَر المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالهم، لأنا مشترطون على أنفسنا ألاّ نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في (السقيفة وفدك وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله)، وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته»[2].

---

(١) اقتصرت على المصادر والأسانيد التي ذكرها الشيخ المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ج٢٩ ص٢١٥ وما بعدها.

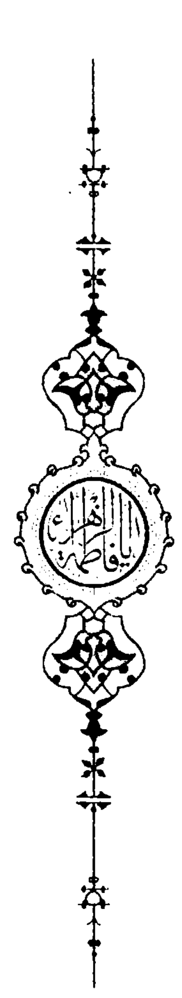
(٢) شرح نهج البلاغة ج١٦ ص٢١٠.

ثم قال: «قال أبو بكر: فحدثني محمد بن زكريا قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي، عن الحسين بن صالح بن حي، قال: حدثني رجلان من بني هاشم، عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه.

قال أبو بكر: وحدثني عثمان بن عمران العجيفي، عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام.

قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد، عن عبد الله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله ابن الحسن بن الحسن، قالوا جميعاً: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها...»[1].



٢. وقد أورد الخطبة علي بن عيسى الإربلي في كتاب (كشف الغمة)، قال: **«وحيث انتهى بنا القول إلى هنا فلنذكر خطبة فاطمة عليها السلام فإنها من محاسن الخطب وبدايعها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أوردها المؤالف والمخالف، ونقلتها من كتاب السقيفة، عن عمر بن شبه، تأليف أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها المذكور، قرئت عليه في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة، روى عن**

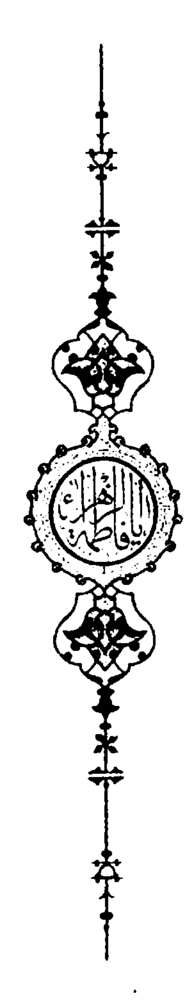
---

(١) شرح نهج البلاغة ج١٦ ص٢١١.

رجاله من عدة طرق أن فاطمة عليها السلام لما بلغها إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها...».

ثم قال: «هذه الخطبة نقلتها من كتاب السقيفة، وكانت النسخة مع قِدمها مغلوطة، فحققتها من مواضع أخر»[1].

وقد أشار إليها المسعودي في (مروج الذهب)[2].



وقال السيد المرتضى رضي الله عنه في (الشافي): «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: [حدثني محمد بن أحمد الكاتب]، حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال: حدثنا الزيادي، قال: حدثنا الشرقي بن القطامي، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثنا صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة.

قال المرزباني: وحدثنا أبو بكر أحمد بن محمد المكي، قال: حدثنا أبو العينا محمد بن القاسم السيمامي، قال: حدثنا ابن عائشة، قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت فاطمة عليها السلام في لمُة من حفدتها إلى أبي بكر.

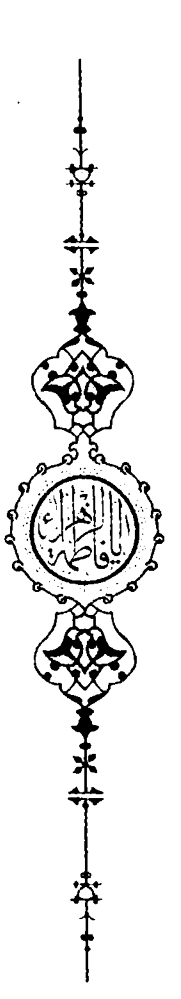
وفي الرواية الأولى قالت عائشة: لما سمعت فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها،

(1) كشف الغمة ج٢ ص١٠٨ وما بعدها.
(2) مروج الذهب ج٢ ص٣٠٤.

واشـتملت بجلبابهـا، وأقبلـت في لمة مـن حفدتهـا، [ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا] ونساء قومها...»[١].

٣. وروى الصدوق رحمه الله بعض فقراتهـا المتعلقة بالعلل في (علل الشرايع). قال: «**حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن عبد الله البرقي عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد بن محمد بن جابر، عن زينب بنت علي عليها السلام**».

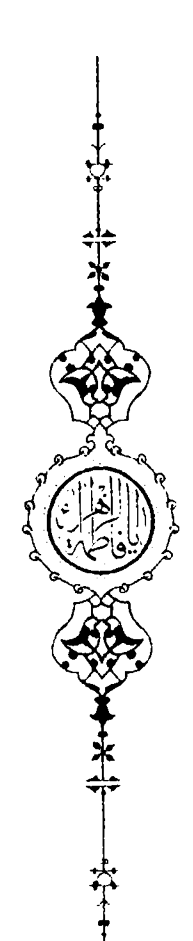
ثم قـال: «أخبرني علي بـن حاتم، قـال: حدثنا محمد بن أسـلم، قال: حدثنـي عبد الجليـل الباقلاني، قـال: حدثني الحسن بن موسـى الخشـاب، قال: حدثني عبد الله بن محمد العلوي، عن رجال من أهل بيته، عـن زينب بنت علي، عن فاطمة عليها السلام بمثله.



وأخبرني علي بن حاتم أيضاً، قال: حدثني محمد بن أبي عمير، قال: حدثني محمد بن عمـارة، قال: حدثني محمد بن إبراهيم المصـري، قال: حدثنـي هارون بن يحيى الناشـب قـال: حدثنا عبيـد الله بن موسـى العبسـي، عن عبيـد الله بن موسـى العمري، عن حفص الأحمر، عـن زيد بن علي، عن عمته زينب بنت علي، عن فاطمة بمثلـه، وزاد بعضهم على بعض في اللفظ[٢].

(١) الشافي في الإمامة ج٤ ص٦٩.
(٢) علل الشرايع ص٢٤٨.

٤. وروى السيد ابن طاوس رضي الله عنه في كتاب (الطرائف) موضع الشكوى والاحتجاج من هذه الخطبة، قال: «ومن طرائف ما رووه في حضورها بنفسها عند أبي بكر وتألمها وطلبها لحقها ما ذكره الشيخ أسعد بن سقروة في كتاب الفائق، عن الأربعين، عن الشيخ المعظم عندهم الحافظ الثقة بينهم أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني في كتاب المناقب، قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال: حدثنا الزيادي محمد بن زياد، قال: حدثنا شرفي بن قطامي، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، أنها قالت: لما بلغ فاطمة عليها السلام أن أبا بكر قد أظهر منعها فدك لاثت خمارها على رأسها...»[1].



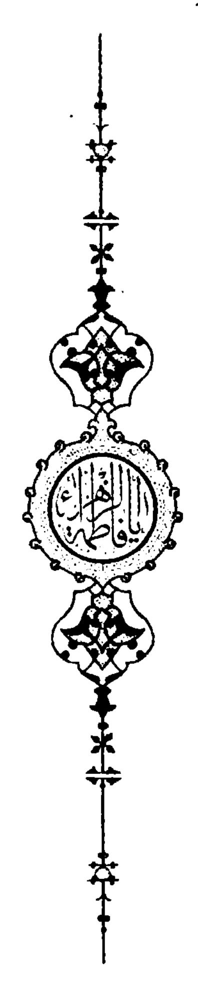
٥. وذكرها أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتاب (بلاغات النساء). قال: «ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فدك، وقلت له: إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع، وأنه من كلام أبي العيناء، الخبر منسوق البلاغة على الكلام، فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم، ويعلمونه أبناءهم، وقد حدثنيه أبي عن جدي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية، ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جدّ أبي العيناء، وقد حدث به الحسن بن علوان، عن عطية العوفي أنه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه. ثم قال أبو

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ص٢٦٣.

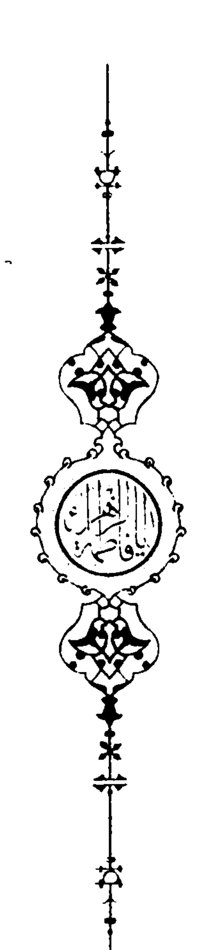
الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يرون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة، يتحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت. ثم ذكر الحديث».

ثم قال: «حدثني جعفر بن محمد ـ رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة ـ قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا موسى بن عيسى قال: أخبرنا عبد الله بن يونس، قال: أخبرنا جعفر الأحمر، عن زيد بن علي (رحمة الله عليه)، عن عمته زينب بنت الحسين عليهما السلام قالت لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر...» [1]

٦. ورواها الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب (الاحتجاج) مرسلاً[2].



(١) بلاغات النساء ص١٤.
(٢) الاحتجاج ج١ ص١٣١.



# نص خطبة الزهراء عليها السلام

رَوَى عَبْدُ اللهِ بنُ الْحَسَنِ عليه السلام بإسْنَادِهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّهُ لَمَّا أجْمَعَ[1] أبُو بَكْرٍ عَلَى مَنْعِ فاطِمَةَ عليها السلام فَدَكَ، وبَلَغَهَا ذَلِكَ، لاثَتْ خِمَارَهَا[2] عَلَى رَأْسِهَا، وَاشْتَمَلَتْ بِجِلْبَابِهَا[3]، وَأَقْبَلَتْ فِي لُمَةٍ مِنْ حَفَدَتِها وَنسَاءِ قَوْمِها[4]، تَطَأُ ذُيُولَهَا[5]، مَا تَخْرِمُ

(١) أي: أحكم النية والعزيمة عليه.

(٢) أي: عصّبته وجمعته، يقال: لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً، أي: شدّها وربطها

(٣) الجلباب ـ بالكسر ـ يطلق على الملحفة والرداء والإزار والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة، والثوب كالمقنعة تغطي بها المرأة رأسها وصدرها وظهرها. والأول هنا أظهر.

(٤) اللُمَة ـ بضم اللام وتخفيف الميم ـ الجماعة. قال في النهاية ج٤ ص٢٧٣: «في حديث فاطمة عليها السلام أنها خرجت في لمة من نسائها، تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر فعاتبته، أي: في جماعة من نسائها، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: اللمة المِثل في السنّ، والتِرب. قال الجوهري: الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو مما أخذت عينه، كَسَه ومُذ، وأصلها فُعْلَة، من الملاءمة، وهي الموافقة». ويحتمل أن يكون بتشديد الميم. قال الفيروز آبادي: «اللُمّة ـ بالشدّة وبالضم ـ الصاحب أو الأصحاب في السفر، والمؤنس، للواحد والجمع» (القاموس المحيط ج٤ ص١٧٧). والحفدة ـ بالتحريك: الأعوان والخدم.

(٥) أي: كانت أثوابها طويلة تستر قدميها، وتضع عليها قدمها عند المشي، وجمع الذيل باعتبار الأجزاء أو تعدد الثياب.

مِشْـيَتُها مِشْـيَةَ رَسُــولِ اللهِ[١] صلى الله عليه وآله، حَتّى دَخَلَتْ عَلَى أَبي بَكْرٍ وَهُوَ فِي حَشْـدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَــارِ وَغَيْرِهِمْ[٢]، فَنِيطَتْ دُونَها مُــلاءَةٌ[٣]، فَجَلَسَــتْ، ثُمَّ أَنَّــتْ أَنَّــةً أَجْهَشَ الْقَــومُ لَهَا بِالْبُكَاءِ[٤]، فَارْتَجَّ الْمَجلِسُ[٥]، ثُمَّ أَمْهَلَتْ هُنَيْئَةً حَتَّى إِذَا سَكَنَ نَشِـيجُ الْقَوْمِ، وَهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ[٦]، افْتَتَحَتِ الْـكَلامَ بِحَمْدِ اللهِ وَالثَّنــاءِ عَلَيْهِ وَالصَّلاةِ عَلَى رَسُــولِهِ، فَعَادَ الْقَــوْمُ فِي بُكَائِهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَكُوا عَادَتْ فِي كَلامِهَا، فَقَالَتْ عليها السلام:

---

(١) في بعض النسخ: «من مشي رسول الله صلى الله عليه وآله». والخرم: الترك والنقص والعدول. والمِشية ـ بالكسر ـ الاسم من مشى يمشي مشياً، أي: لم تنقص مشيها من مشيه صلى الله عليه وآله شيئاً، كأنه هو بعينه. قال في النهاية: «ما خرمت من صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً. أي: ما تركت، ومنه الحديث: لم أخرم منه حرفاً. أي: لم أدع».

(٢) الحشد ـ بالفتح، وقد يحرّك: الجماعة.

(٣) الملاءة ـ بالضم والمدّ ـ الريطة والإزار. ونيطت بمعنى عُلّقت. أي: ضربوا بينها عليها السلام وبين القوم ستراً وحجاباً.

(٤) الجهش أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبي يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء، يقال: جهش إليه ـ كمنع ـ وأجهش.

(٥) الارتجاج: الاضطراب.

(٦) هنيئة أي: صبرت زماناً قليلاً. والنشيج: صوت معه توجع وبكاء، كما يردد الصبي بكاءه في صدره. وهدأت ـ كمنعت ـ أي: سكنت. وفورة الشيء شدّته، وفار القدر أي: جاشت.

الْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ[١]، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَاها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْدَاهَا[٢]، وَتَمَامِ مِنَنٍ وَالاهَا[٣]، جَمَّ عَنْ الإحْصَاءِ عَدَدُهَا[٤]، وَنَأَى عَنْ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا[٥]، وَتَفَاوَتَ عَنْ الْإِدْرَاكِ أَبَدُهَا[٦]، وَنَدَبَهُمْ لاِسْتِزَادَتِها بِالشُّكْرِ لاِتِّصَالِهَا[٧]، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى

---

(١) أي: بنعم أعطاها العبادَ قبل أن يستحقوها. ويحتمل أن يكون المراد بالتقديم الإيجاد والفعل، من غير ملاحظة معنى الابتداء، فيكون تأسيساً.

(٢) السبوغ: الكمال. والآلاء: النعماء، جمع ألى ـ بالفتح والقصر، وقد يكسر الهمزة. وأسدى وأولى وأعطى بمعنى واحد

(٣) والاها أي: تابعها، بإعطاء نعمة بعد أخرى بلا فصل.

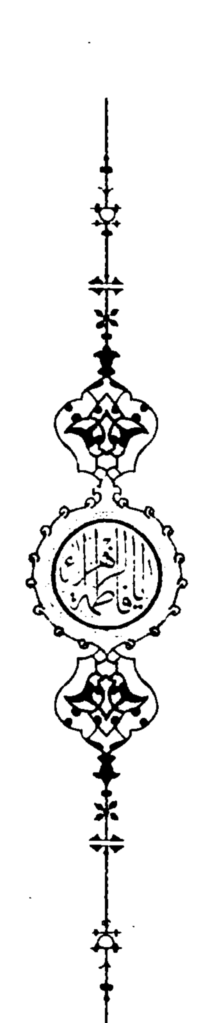
(٤) الجم: الكثير. والتعدية بعن لتضمين معنى التعدّي والتجاوز.

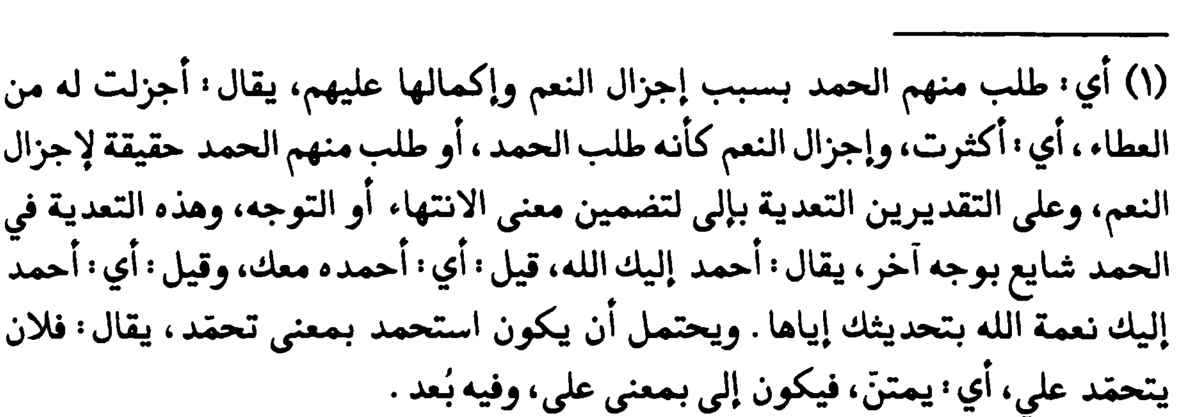
(٥) الأمد ـ بالتحريك: الغاية والمنتهى. أي: بعُد عن الجزاء بالشكر غايتها، فالمراد بالأمد: إما الأمد المفروض، إذ لا أمد لها على الحقيقة، أو الأمد الحقيقي لكل حدّ من حدودها المفروضة. ويحتمل أن يكون المراد بأمدها ابتداؤها. وقال في النهاية ج٣ ص٧٤: «للإنسان أمدان: أحدهما ابتداء خلقه الذي يظهر عند مولده، والأمد الثاني الموت، ومن الأول حديث الحجاج حين سأل الحسن، فقال له: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر، أراد أنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر». وإذا حمل عليه يكون أبلغ. ويحتمل ـ على بُعد ـ أن يُقرأ بكسر الميم، قال الفيروزآبادي: «الأمِد: المملوء من خير أو شر، والسفينة المشحونة» (القاموس المحيط ج١ ص٢٧٥).

(٦) التفاوت: البُعد. والأبد: الدهر، والدائم، والقديم الأزلي. وبُعده عن الإدراك لعدم الانتهاء.

(٧) يقال: ندبه للأمر وإليه فانتدب، أي: دعاه فأجاب. واللام في قولها: «لاتصالها»: لتعليل الندب، أي: رغبهم في استزادة النعمة بسبب الشكر لتكون نعمه متصلة لهم، غير منقطعة عنهم. وجعلُ اللام الأولى للتعليل والثانية للصلة بعيدٌ. وفي بعض النسخ: «لإفضالها»، فيحتمل تعلّقه بالشكر.

الْخَلائِقِ بِإِجْزَالِهَا (١)، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا(٢). وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأْوِيلَهَا(٣)، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ



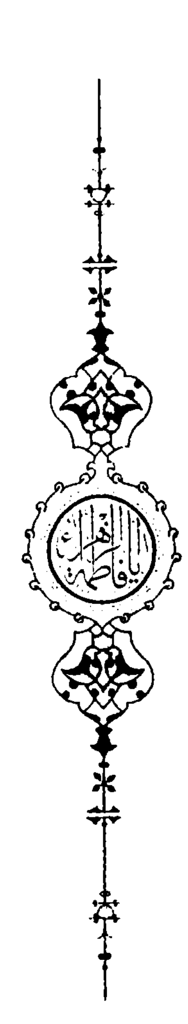


(١) أي: طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، يقال: أجزلت له من العطاء، أي: أكثرت، وإجزال النعم كأنه طلب الحمد، أو طلب منهم الحمد حقيقة لإجزال النعم، وعلى التقديرين التعدية بإلى لتضمين معنى الانتهاء أو التوجه، وهذه التعدية في الحمد شايع بوجه آخر، يقال: أحمد إليك الله، قيل: أي: أحمده معك، وقيل: أي: أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إياها. ويحتمل أن يكون استحمد بمعنى تحمّد، يقال: فلان يتحمّد علي، أي: يمتنّ، فيكون إلى بمعنى على، وفيه بُعد.

(٢) أي: بعد أن أكمل لهم النعم الدنيوية ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الأخروية، أو الأعم منها ومن مزيد النعم الدنيوية. ويحتمل أن يكون المراد بالندب إلى أمثالها أمر العباد بالإحسان والمعروف، وهو إنعام على المحسن إليه وعلى المحسن أيضاً، لأنه به يصير مستوجباً للأعواض والمثوبات الدنيوية والأخروية.

(٣) المراد بالإخلاص جعل الأعمال كلها خالصة لله تعالى، وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسل بغيره تعالى في شيء من الأمور، فهذا تأويل كلمة التوحيد، لأن من أيقن بأنه الخالق والمدبر، وبأنه لا شريك له في الإلهية، فحق له أن لا يشرك في العبادة غيره، ولا يتوجه في شيء من الأمور إلى غيره.

مَوْصُولَهَا[١]، وَأَنَارَ فِي التَفَكُّرِ مَعْقُولَهَا[٢]. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأَبْصَارِ رُؤْيَتُهُ[٣]، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ[٤]، وَمِنَ الأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ، ابْتَدَعَ الأَشْيَاءَ لاَ مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا[٥]، وَأَنْشَأَهَا بِلاَ احْتِذَاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَهَا[٦]، كَوَّنَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَهَا بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهَا، وَلاَ فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا، إِلاَّ تَثْبِيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهاً عَلَى طَاعَتِهِ[٧]، وَإِظْهَاراً لِقُدْرَتِهِ،

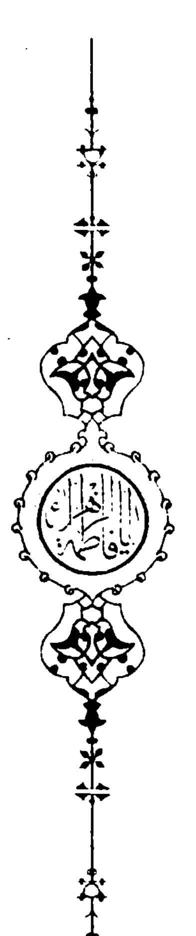


---

(١) هذه الفقرة تحتمل وجوهاً..
الأول: أن الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة، من عدم تركّبه تعالى، وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة، وأشباه ذلك مما يؤول إلى التوحيد.
الثاني: أن يكون المعنى جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب، مما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، أو بما فطرهم عليه من التوحيد.
الثالث: أن يكون المعنى لم يكلف العقول الوصول إلى منتهى دقايق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنما كلف عامة القلوب بالإذعان بظاهر معناها، وصريح مغزاها، وهو المراد بالموصول.
الرابع: أن يكون الضمير في: «موصولها» راجعاً إلى القلوب، أي: لم يلزم القلوب إلا ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيبة، والدقايق المستنبطة منها، أو مطلقها.
ولولا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأول، بل مطلقاً.
(٢) أي: أوضح في الأذهان ما يتعلق من تلك الكلمة بالتفكر في الدلائل والبراهين. ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب أو الفكر ـ بصيغة الجمع، أي: أوضح بالتفكر ما يعقلها العقول. وهذا يؤيد الوجه الرابع من وجوه الفقرة السابقة.
(٣) يمكن أن يقرأ الأبصار ـ بصيغة الجمع والمصدر. والمراد بالرؤية العلم الكامل والظهور التام.
(٤) الظاهر أن الصفة هنا مصدر. ويحتمل المعنى المشهور، بتقدير أي بيان صفته.
(٥) شيء أي: مادة.
(٦) احتذى مثاله: اقتدى به. وامتثلها أي: تبعها.
(٧) لأن ذوي العقول يتنبّهون بمشاهدة مصنوعاته بأن شكر خالقها والمنعم بها واجب، أو أن خالقها مستحق للعبادة، أو بأن من قدر عليها يقدر على الإعادة والانتقام.

تَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ[١]، وَإِعْزَازاً لِدَعْوَتِهِ[٢]، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ[٣]، وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ[٤].

وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَلَهُ[٥]، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ، إِذْ الْخَلائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهَاوِيلِ مَصُونَةٌ[٦]، وَبِنَهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعَالَى بِمَآيِلِ الأُمُورِ[٧]، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ الْمَقْدُورِ[٨].



(١) أي: خلق البرية ليتعبدهم، أو خلق الأشياء ليتعبّد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه.

(٢) أي: خلق الأشياء ليغلب، ويظهر دعوة الأنبياء إليه بالاستدلال بها.

(٣) الذود والذياد ـ بالذال المعجمة: السَوْق والطرد والدفع والإبعاد.

(٤) تقول: حشت الصيد أحوشه، إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة. ولعل التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عما يوجب دخول الجنة.

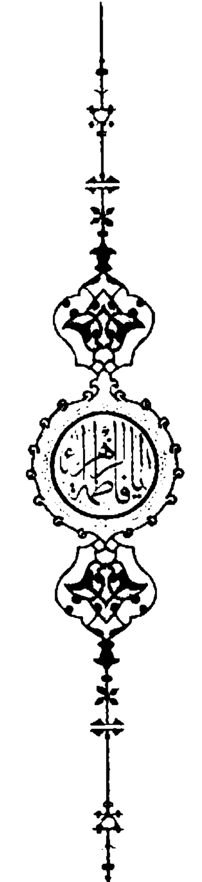
(٥) الجبل: الخلق، يقال: جبلهم الله، أي: خلقهم، وجبله على الشيء، أي: طبعه عليه. ولعل المعنى أنه تعالى سماه لأنبيائه قبل أن يخلقه. ولعل زيادة البناء للمبالغة، تنبيهاً على أنه خلق عظيم.

(٦) لعل المراد بالستر ستر العدم، أو حجب الأصلاب والأرحام، ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء في تلك الأحوال من موانع الوجود وعوائقه. ويحتمل أن يكون المراد أنها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العدم، إذ هي إنما تلحقها بعد الوجود. وقيل: التعبير من قبيل التعبير عن درجات العدم بالظلمات.

(٧) أي: عواقبها.

(٨) أي: لمعرفته تعالى بما يصلح وينبغي من أزمنة الأمور الممكنة المقدورة وأمكنتها. ويحتمل أن يكون المراد بالمقدور المقدّر، بل هو أظهر.

ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى إتْمَاماً لِأمْرِهِ[١]، وَعَزِيمَةً عَلَى إمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفَاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ[٢]، فَرَأَى الأُمَمَ فِرَقاً فِي أدْيَانِهَا، عُكَّفاً عَلَى نِيرَانِهَا[٣]، عَابِدَةً لِأوْثَانِهَا، مُنْكِرَةً للهِ مَعَ عِرْفَانِهَا[٤]. فَأَنَارَ اللهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ ظُلَمَهَا[٥]، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَهَا[٦]، وَجَلَى عَنِ الأبْصَارِ غُمَمَهَا[٧]، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ، فَأنْقَذَهُمْ مِنَ الْغِوَايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ[٨]، وَهَدَاهُمْ إلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إلَى الصِّراطِ الْمُسْتَقِيمِ. ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيَارٍ[٩]، وَرَغْبَةٍ وَإيْثَارٍ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ، قَدْ حُفَّ بِالْمَلائِكَةِ الأبْرَارِ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الْغَفَّارِ،



---

(١) أي: للحكمة التي خلق الأشياء لأجلها.

(٢) الإضافة في: «مقادير حتمه» من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة، أي: مقاديره المحتومة.

(٣) تفصيل وبيان للفِرَق بذكر بعضها، يقال: عكف على الشيء ـ كضرب ونصر ـ أي: أقبل عليه مواظباً ولازمه، فهو عاكف، ويجمع على عُكّف ـ بضم العين وفتح الكاف المشددة، كما هو الغالب في فاعل الصفة، نحو شُهّد وغُيّب. والنيران جمع نار، وهو قياس مطرد في جمع الأجوف، نحو تيجان وجيران.

(٤) لكون معرفته تعالى فطرية، أو لقيام الدلائل الواضحة الدالة على وجوده سبحانه.

(٥) الضمير في: «ظلمها» راجع إلى الأمم، والضميران التاليان له يمكن إرجاعهما إليها وإلى القلوب والأبصار. والظُلَم ـ بضم الظاء وفتح اللام ـ جمع ظُلمة، استعيرت هنا للجهالة.

(٦) البُهم جمع بُهمة ـ بالضم، وهي مشكلات الأمور.

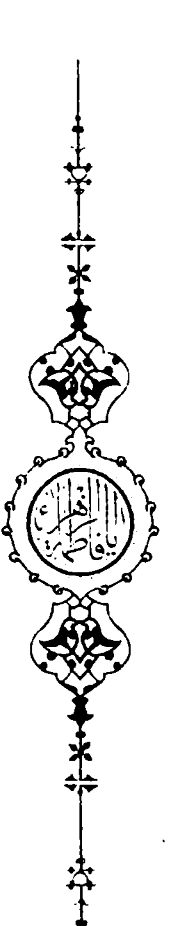
(٧) جلوت الأمر: أوضحته وكشفته. والغُمم جمع غُمة، يقال: أمر غمة، أي: مبهم ملتبس، قال الله تعالى: (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة). قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق، وتقول: غممت الشيء، إذا غطيته وسترته.

(٨) العماية: الغواية واللجاج، ذكره الفيروز آبادي (القاموس المحيط ج٤ ص٣٦٦).

(٩) أي: منّ الله له ما هو خير له، أو باختيار منه ﷺ ورضى، وكذا الإيثار، والأول أظهر فيهما.

وَمُجَاوَرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ. صَلَّى اللهُ عَلَى أَبِي نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ، وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَصَفِيِّهِ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثُمَّ التفتت إلى أهلِ المجلس وقالت: أَنْتُمْ عِبَادَ اللهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ[١]، وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَنَاءُ اللهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغَاؤُهُ إِلَى الأُمَمِ[٢]، زَعِيمُ حَقٍّ لَهُ فِيكُمْ، وَعَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ[٣]، كِتَابُ اللهِ النَّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّيَاءُ اللامِعُ، بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ[٤]، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ[٥]، مُنْجَلِيَةٌ ظَوَاهِرُهُ، مُغْتَبَطَةٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ[٦]، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوانِ اتِّبَاعُهُ، مُؤَدٍّ إِلَى النَّجَاةِ إِسْمَاعُهُ[٧]، بِهِ تُنَالُ حُجَجُ اللهِ الْمُنَوَّرَةُ، وَعَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ، وَمَحَارِمُهُ



(١) قال الفيروز آبادي: «النصب ـ بالفتح: العلم المنصوب، ويحرّك» (القاموس المحيط ج١ ص١٣٢)، وهذا نصب عيني ـ بالضم والفتح، أي: نصبكم الله لأوامره ونواهيه، وهو خبر الضمير. وعباد الله منصوب على النداء.

(٢) أي: تؤدون الأحكام إلى سائر الناس، لأنكم أدركتم صحبة الرسول صلى الله عليه وآله.

(٣) العهد: الوصية، وبقية الرجل ما يخلفه في أهله، والمراد بهما القرآن، أو بالأول ما أوصاهم به في أهل بيته وعترته، وبالثاني القرآن.

(٤) البصائر جمع بصيرة، وهي الحجّة.

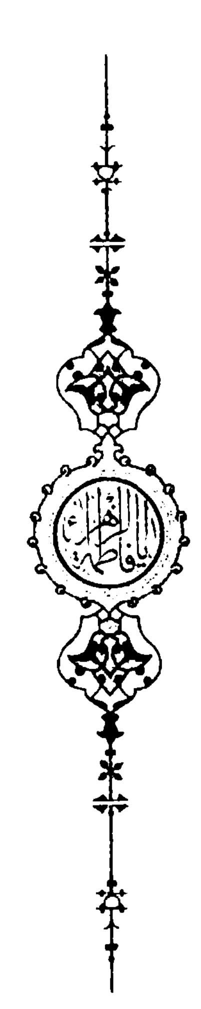
(٥) المراد بانكشاف السرائر وضوحها عند حملة القرآن وأهله.

(٦) الغبطة أن يتمنى المرء مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها منه، تقول: غبطته فاغتبط. والباء للسببية، أي: أشياعه مغبوطون بسبب اتباعه. وتلك الفقرة غير موجودة في سائر الروايات.

(٧) أي: تلاوته. وفي بعض نسخ الاحتجاج وسائر الروايات: استماعه.

الْمُحَـذِّرَةُ، وَبَيِّنَاتُـهُ الْجَالِيَـةُ، وَبَرَاهِينُـهُ الْكَافِيَـةُ، وَفَضَائِلُـهُ الْمَنْدُوبَـةُ، وَرُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةُ، وَشَرَايِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ(١).

فَجَعَلَ اللهُ الإيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، وَالزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ(٢) وَنَماءً فِي الرِّزْقِ(٣)، وَالصِّيامَ تَثْبِيتاً لِلإخْلاصِ(٤)، وَالْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ(٥)، وَالْعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلقُلُوبِ(٦)، وَإطَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمَامَتَنَا أمَاناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزّاً لِلإسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجَابِ الأجْرِ(٧)، وَالأمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً



---

(١) المراد بالعزائم الفرائض، وبالفضائل السنن، وبالرخص المباحات، بل ما يشمل المكروهات، وبالشرائع ما سوى ذلك من الأحكام، كالحدود والديات، أو الاعم. وأما الحجج والبينات والبراهين فالظاهر أن بعضها مؤكدة لبعض، ويمكن تخصيص كل منها ببعض ما يتعلق بأصول الدين لبعض المناسبات.

(٢) أي: من دنس الذنوب، أو من رذيلة البخل، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (سورة التوبة: ١٠٣).

(٣) إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ (سورة الروم: ٣٩) على بعض التفاسير.

(٤) أي: لتشييد الإخلاص وإبقائه، أو لإثباته وبيانه، ويؤيد الأخير أن في بعض الروايات: «تبييناً»، وتخصيص الصوم بذلك لكونه أمراً عدمياً لا يظهر لغيره تعالى، فهو أبعد من الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، وهذا أحد الوجوه في تفسير الحديث المشهور: «الصوم لي وأنا أجزي به» (من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٧٥).

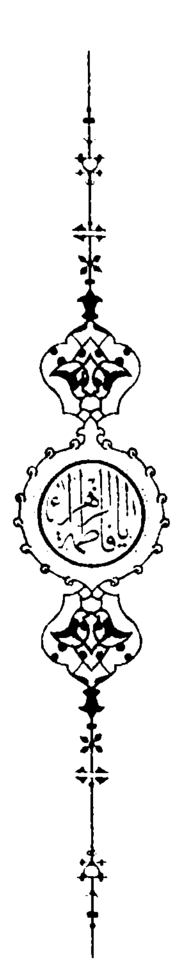
(٥) إنما خص التشييد به لظهوره ووضوحه، وتحمل المشاق فيه، وبذل النفس والمال له، فالإتيان به أدل دليل على ثبوت الدين، أو يوجب استقرار الدين في النفس لتلك العلل وغيرهما مما لا نعرفه. ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة من أن علة الحج التشرف بخدمة الإمام، وعرض النصرة عليه، وتعلم شرائع الدين منه، فالتشييد لا يحتاج إلى تكلف.

(٦) التنسيق: التنظيم.

(٧) إذ به يتم فعل الطاعات وترك السيئات.

لِلْعَامَّةِ، وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ وِقَايَةً مِنَ السُّخْطِ(١)، وَصِلَةَ الأَرْحَامِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ(٢)، وَالْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ(٣)، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ(٤)، وَاجْتِنَابَ الْقَذْفِ حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَةِ(٥)، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ(٦)، وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إِخْلاصاً لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٧)، وَأَطِيعُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً(٨)، وَلاَ أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطاً، وَلاَ أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطاً(٩)، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ



(١) أي: سخطهما، أو سخط الله تعالى، والأول أظهر.

(٢) المنماة: اسم مكان، أو مصدر ميمي، أي: يصير سبباً لكثرة عدد الأولاد والعشائر، كما أن قطعها يذر الديار بلاقع من أهلها.

(٣) في سائر الروايات: «للبخسة»، أي: لئلا يَنقص مال من يُنقص المكيال والميزان، إذ التوفية موجبة للبركة وكثرة المال، أو لئلا ينقصوا أموال الناس، فيكون المقصود أن هذا أمر يحكم العقل بقبحه.

(٤) أي: النجس، أو ما يجب التنزه عنه عقلاً، والأول أوضح في التعليل، فيمكن الاستدلال على نجاستها.

(٥) أي: لعنة الله، أو لعنة المقذوف أو القاذف، فيرجع إلى الوجه الأخير في السابقة، والأول أظهر، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (سورة النور: ٢٣).

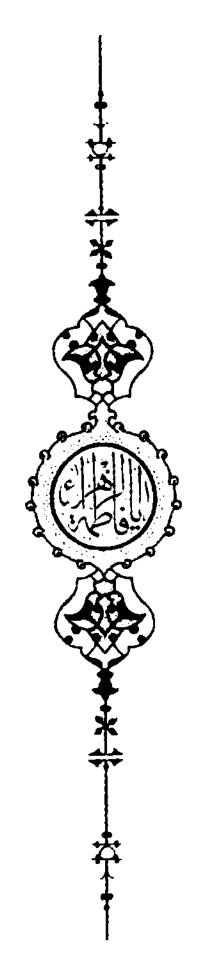
(٦) أي: للعفة عن التصرف في أموال الناس مطلقاً، أو يرجع إلى ما مر، وكذا الفقرة التالية.

(٧) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٨) أي: أولاً وآخراً، وفي رواية ابن ابي الحديد وغيره: «أقول عوداً على بدء»، والمعنى واحد.

(٩) الشطط ـ بالتحريك ـ البعد عن الحق، ومجاوزة الحد في كل شيء.

عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، فَإِنْ تَعْزُوهُ وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ[٢]، وَلَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ ﷺ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِالنِّذَارَةِ[٣]، مَائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ[٤]، ضَارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظَامِهِمْ[٥]، دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ



(١) سورة التوبة: ١٢٨. أي: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، بل عن نكاح طيب، كما روي عن الصادق عليه السلام (الكافي ج١ ص٤٤١)، وقيل: أي من جنسكم من البشر، ثم من العرب، ثم من بني إسماعيل. عزيز عليه ما عنتم: أي شديد شاقّ عليه عنتكم، وما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان، أو مطلقاً. حريص عليكم: أي على إيمانكم وصلاح شأنكم. بالمؤمنين رؤوف رحيم: أي رحيم بالمؤمنين منكم ومن غيركم. والرأفة: شدة الرحمة، والتقديم لرعاية الفواصل. وقيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين. وقيل: رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه. وقيل: رؤوف بمن رآه رحيم بمن لم يره، فالتقديم للاهتمام بالمتعلق.

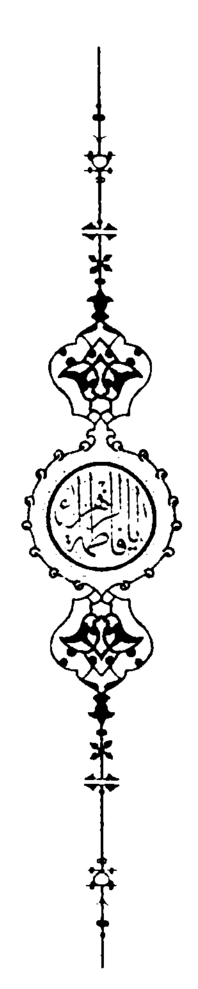
(٢) يقال: عزوته إلى أبيه، أي: نسبته إليه، أي: إن ذكرتم نسبه وعرفتموه تجدوه أبي وأخا ابن عمي، فالأخوة ذكرت استطراداً. ويمكن أن يكون الانتساب أعم من النسب، ومما طرأ أخيراً. ويمكن أن يقرأ: وآخى ـ بصيغة الماضي.

(٣) الصدع: الإظهار، تقول: صدعت الشيء، أي: أظهرته، وصدعت بالحق: إذا تكلمت به جهاراً، قال الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الحجر: ٩٤). والنذارة ـ بالكسر ـ الإنذار، وهو الإعلام على وجه التخويف.

(٤) المدرجة: المذهب والمسلك.

(٥) الثَبَج ـ بالتحريك ـ وسط الشيء، ومعظمه. والكَظَم ـ بالتحريك ـ مخرج النفس من الحلق، أي: كان ﷺ لا يبالي بكثرة المشركين واجتماعهم، ولا يداريهم في الدعوة.

**بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ(١)، يُكَسِّرُ الأَصْنَامَ، وَيَنْكُتُ الْهَامَ(٢)، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلُّوا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ(٣)، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ(٤)، وَخَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ(٥)، وَطَاحَ وَشِيظُ النِّفَاقِ(٦)، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقَاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ**



---

(١) كما أمره سبحانه: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٢). وقيل: المراد بالحكمة البراهين القاطعة، وهي للخواص، وبالموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة، وهي للعوام، وبالمجادلة بالتي هي أحسن إلزام المعاندين والجاحدين بالمقدمات المشهورة والمسلّمة. وأما المغالطات والشعريات فلا يناسب درجة أصحاب النبوات.

(٢) النكث: إلقاء الرجل على رأسه، يقال: طعنه فنكثه. والهام جمع الهامة ـ بالتخفيف فيهما ـ وهي الرأس، والمراد قتل رؤساء المشركين وقمعهم وإذلالهم، أو المشركين مطلقاً. وقيل: أريد به إلقاء الأصنام على رؤوسها، ولا يخفى بعده، لا سيما بالنظر إلى ما بعده. وفي الكشف وغيره: «يجذ الأصنام»، من قولهم: جذذت الشيء، أي: كسرته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٥).

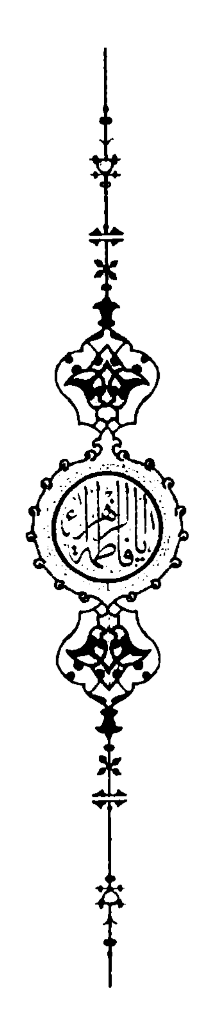
(٣) تفرّى الليل أي: انشقّ حتى ظهر ضوء الصباح، وأسفر الحق عن محضه وخالصه، ويقال: اسفر الصبح، أي: أضاء.

(٤) زعيم القوم: سيدهم والمتكلم عنهم، والزعيم ـ أيضاً: الكفيل، والإضافة لامية، ويحتمل البيانية.

(٥) خرس ـ بالكسر الراء. والشقاشق جمع شقشقة ـ بالكسر، وهي شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب: ذو شقشقة، فإنما يشبه بالفحل، وإسناد الخرس إلى الشقاشق مجازيّ.

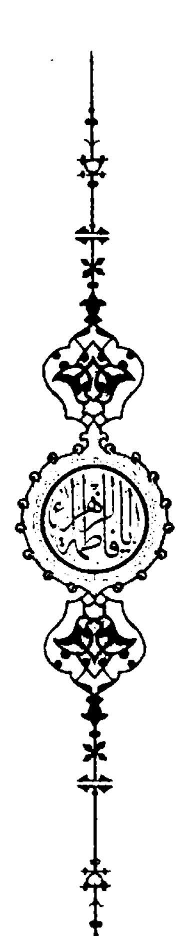
(٦) يقال: طاح فلان يطوح إذا هلك أو أشرف على الهلاك وتاه في الأرض وسقط. والوشيظ ـ بالمعجمتين: الرُذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: إياكم والوشائظ، وقال الجوهري: «الوشيظ: لفيف من الناس ليس أصلهم واحداً، وبنو فلان وشيظة في قومهم، أي: هم حشوٌ فيهم». والوسيط ـ بالمهملتين: أشرف القوم نسباً وأرفعهم محلاً، كذا في بعض النسخ، وهو أيضاً مناسب.

الإِخْلاَصِ فِـي نَفَرٍ مِنْ الْبِيـضِ الْخِمَـاصِ[1]، وَكُنْتُمْ عَلَى شَـفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ[2]، مُذْقَةَ الشَّـارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ[3]، وَقُبْسَـةَ الْعَجْلاَنِ[4]، وَمَوْطِئ



(١) يقال: فاه فلان بالكلام ـ كقال ـ أي: لفظ به، كتفوّه. وكلمة الإخلاص: كلمة التوحيد، وفيه تعريض بأنه لم يكن إيمانهم عن قلوبهم. والبيض جمع أبيض وهو من الناس خلاف الأسود. والخماص ـ بالكسر ـ جمع خميص، والخماصة تطلق على دقة البطن خلقة، وعلى خلوّه من الطعام، يقال: فلان خميص البطن من أموال الناس، أي: عفيف عنها، وفي الحديث: «كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً» (بحار الأنوار ج٦٨ ص١٥١).
والمراد بالبيض الخماص: إما أهل البيت عليهم السلام، ويؤيده ما في كشف الغمة: «في نفر من البيض الخماص، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، ووصفهم بالبيض لبياض وجوههم، أو هو من قبيل وصف الرجل بالأغرّ، وبالخماص لكونهم ضامري البطون بالصوم وقلة الأكل، أو لعفتهم عن أكل أموال الناس بالباطل.
أو المراد بهم من آمن من العجم، كسلمان رضي الله عنه وغيره، ويقال لأهل فارس: بيض، لغلبة البياض على ألوانهم وأموالهم، إذ الغالب في أموالهم الفضة، كما يقال لأهل الشام: حمر، لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أموالهم، والأول أظهر.
ويمكن اعتبار نوع تخصيص في المخاطبين، فيكون المراد بهم غير الراسخين الكاملين في الإيمان، وبالبيض الخماص الكمّل منهم.
(٢) سورة آل عمران: ١٠٣. وشفا كل شيء طرفه وشفيرُه، أي: كنتم على شفير جهنم مشرفين على دخولها، لشرككم وكفركم.
(٣) مذقة الشارب: شربته. والنهزة ـ بالضم: الفرصة، أي: محل نهزته، أي: كنتم قليلين أذلاء يتخطفكم الناس بسهولة.
(٤) القُبسة ـ بالضم: شعلة من نار يقتبس من معظمها. والإضافة إلى العجلان لبيان القلة والحقارة.

الأقْدَام[١]، تَشْرَبُونَ الطَّرَقَ،[٢] وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ[٣]، أذِلَّةً خَاسِئِينَ[٤]، (تَخافُونَ أنْ يَتَخطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ)[٥]، فَأنْقَذَكُمُ اللهُ تبارك وتعالى بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللَّتَيَا وَالَّتِي[٦]، وَبَعْدَ أنْ مُنِيَ بِبُهَم الرِّجَالِ[٧] وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ[٨] وَمَرَدَةِ أهْلِ الْكِتَابِ[٩]، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[١٠]، أوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ[١١]، أوْ فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١٢] قَذَفَ أخَاهُ



---

(١) وطئ الأقدام مثل مشهور في المغلوبية والمذلة.

(٢) الطرق ـ بالفتح: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر.

(٣) القِدّ ـ بكسر القاف وتشديد الدال: سير يقدّ من جلد غير مدبوغ. والمقصود وصفهم بخباثة المشرب وجشوبة المأكل، لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم، ولفقرهم وقلة ذات يدهم، وخوفهم من الأعادي.

(٤) الخاسئ: المبعد المطرود.

(٥) التخطف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة، اقتبس من قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٢٦).

(٦) اللّتيا ـ بفتح اللام وتشديد الياء: تصغير الّتي، وجوز بعضهم فيه ضم اللام، وهما كنايتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة.

(٧) يقال: مُني بكذا ـ على صيغة المجهول ـ أي: ابتلي. وبُهم الرجال ـ كصرد: الشجعان منهم، لأنهم لشدة بأسهم لا يدرى من أين يؤتون.

(٨) ذوبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين لا مال لهم ولا اعتماد عليهم.

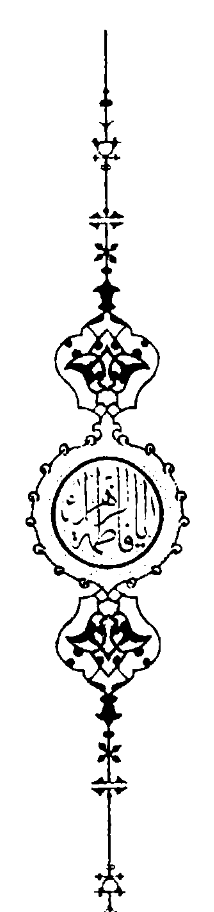
(٩) المردة: العتاة المتكبرون المجاوزون للحد.

(١٠) سورة المائدة: ٦٤.

(١١) نجم الشيء ـ كنصر ـ نجوماً: ظهر وطلع. والقرن: القوة، وفسر قرن الشيطان بأمته ومتابعيه.

(١٢) فغر فاه أي: فتحه، وفُغر فوه أي: انفتح، يتعدى ولا يتعدى. والفاغرة من المشركين: الطائفة العادية منهم، تشبيهاً بالحيّة أو السبع. ويمكن تقدير الموصوف مذكّراً على أن تكون التاء للمبالغة.

فِي لَهَوَاتِها[١]، فَـلاَ يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِـهِ[٢]، وِيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَـيْفِهِ، مَكْدُوداً فِـي ذَاتِ اللهِ[٣]، مُجْتَهِداً فِـي أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُـولِ اللهِ، سَـيِّداً فِي أوْلِياءِ اللهِ، مُشَـمِّراً نَاصِحَاً[٤] مُجِـداً كَادِحَـاً[٥]، وَأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُـونَ فَاكِهُونَ آمِنُونَ[٦]، تَتَرَبَّصُـونَ بِنَا الدَّوَائِرَ[٧]،



---

(١) القذف: الرمي، ويستعمل في الحجارة، كما أن الحذف يستعمل في الحصا، يقال: هم بين حاذف وقاذف. واللهوات ـ بالتحريك ـ جمع لهاة، وهي اللحمة في أقصى سقف الفم. والمراد أنه ﷺ كلما أراده طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة بعث علياً ؑ لدفعها، وعرّضه للمهالك.

(٢) انكفأ ـ بالهمزة ـ أي: رجع، من قوله: كفأت القوم كفأً: إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره، فانكفؤوا، أي: رجعوا. والصماخ ـ بالكسرة: ثقب الاذن، والاذن نفسها، وبالسين ـ كما في بعض الروايات ـ لغة فيه. والأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، ووطئ الصماخ بالأخمص عبارة عن القهر والغلبة على أبلغ وجه، وكذا إخماد اللهب بماء السيف استعارة بليغة شائعة.

(٣) المكدود: من بلغه التعب والأذى. وذات الله: أمره ودينه، وكل ما يتعلق به سبحانه.

(٤) التشمير في الأمر: الجد والاهتمام فيه.

(٥) الكدح: العمل والسعي.

(٦) قال الجوهري: «الدعة: الخفض، والهاء عوض عن الواو، تقول منه: ودع الرجل ـ بالضم ـ فهو وديع، أي: ساكن، ووداع أيضاً، مثل حمض فهو حامض، يقال: نال فلان المكارم وادعاً من غير كلفة» (الصحاح ج٣ ص١٢٩٥). وقال: «الفُكاهة ـ بالضم ـ المزاح، والفَكاهة ـ بالفتح ـ مصدر فكِه الرجل ـ بالكسر، فهو فكِهٌ، إذا كان طيب النفس مزاحاً، والفكِه ـ أيضاً ـ الأشر البطر، وقرئ: ﴿ونعمة كانوا فيها فكهين﴾ أي: أشرين، و﴿فكهين﴾ أي: ناعمين، والمفاكهة: الممازحة» (الصحاح ج٦ ص٢٢٤٣).

(٧) الدوائر: صروف الزمان وحوادث الأيام، والعواقب المذمومة، وأكثر ما تستعمل الدائرة في تحول النعمة إلى الشدة، أي: كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا وزوال النعمة والغلبة عنا.

وَتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبَارَ(١)، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزَالِ(٢)، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتَالِ. فَلَمَّا اخْتَارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيائِهِ، وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ، ظَهَرَ فِيكُمْ حَسِيكَةُ النِّفَاقِ(٣)، وَسَمَلَ جِلْبَابُ الدِّينِ(٤)، وَنَطَقَ كَاظِمُ الْغَاوِينَ(٥)، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْمُبْطِلِينَ(٦)، وَنَبَغَ خَامِلُ الأَقَلِّينَ(٧)، فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ(٨)، وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مِغْرَزِهِ هَاتِفاً بِكُمْ(٩)، فَأَلْفَاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ(١٠)،



(١) التوكّف: التوقع، والمراد أخبار المصائب والفتن.

(٢) النكوص: الإحجام، والرجوع عن الشيء. والنزال ـ بالكسر ـ أن ينزل القرنان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا. والمقصود من تلك الفقرات أنهم لم يزالوا منافقين لم يؤمنوا قط.

(٣) الحسيكة: العداوة. قال الجوهري: «الحسك: حسك السعدان، الواحدة حسكة... وقولهم: في صدره عليّ حسيكة وحساكة، أي: ضغن وعداوة» (الصحاح ج٤ ص١٥٧٩).

(٤) سمل الثوب ـ كنصر ـ صار خلقاً. والجلباب ـ بالكسر ـ الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة. وقيل: هو إزار ورداء. وقيل: هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها.

(٥) الكظوم: السكوت.

(٦) الهدر: ترديد البعير صوته في حنجرته. والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يُركب ولا يهان، لكرامته على أهله.

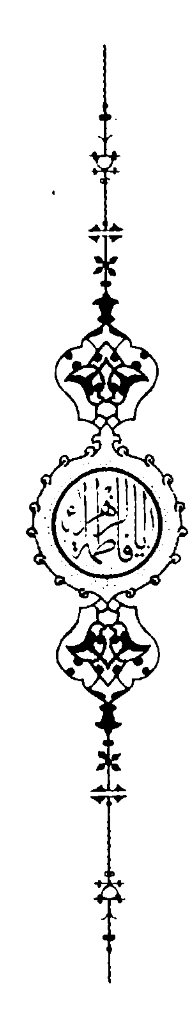
(٧) نبغ الشيء ـ كمنع ونصر ـ أي: ظهر، ونبغ الرجل: إذا لم يكن في إرث الشعر، ثم قال وأجاد. والخامل من خفي ذكره وصوته، وكان ساقطاً لا نباهة له. والمراد بالأقلين الأذلون. وفي بعض الروايات: «الأولين».

(٨) يقال: خطر البعير بذنبه يخطِر ـ بالكسر ـ خطراً وخطراناً، إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه.

(٩) مغرز الرأس ـ بالكسر ـ ما يختفي فيه. وقيل: لعل في الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ، فإنه إنما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المُقدِم على أمر، فإنه يمد عنقه إليه. والهتاف: الصياح.

(١٠) ألفاكم: وجدكم.

وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ[١]، ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفَافاً[٢]، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفَاكُمْ غِضَاباً[٣]، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ[٤]، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ[٥]، هَذَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ[٦]، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلْ[٧]، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرْ، ابْتِدَاراً، زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ[٨]، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٩]. فَهَيْهَاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ،



---

(١) الغِرَّة ـ بالكسر : الاغترار والانخداع، والضمير المجرور راجع إلى الشيطان. وملاحظة الشيء : مراعاته، وأصله من اللحظ، وهو النظر بمؤخر العين، وهو إنما يكون عند تعلق القلب بشيء، أي : وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للانخداع كالذي كان مطمح نظره أن يغتر بأباطيله. ويحتمل أن يكون : «للعزة» بتقديم المهملة على المعجمة. وفي كشف الغمة : «وللعزة ملاحظين»، أي : وجدكم طالبين للعزة.

(٢) النهوض : القيام، واستنهضه لأمر أي : أمره بالقيام إليه. فوجدكم خفافاً أي : مسرعين إليه.

(٣) أحمشت الرجل : أغضبته، وأحمشت النار : ألهبتها، أي : حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه، أو من عند أنفسكم. وفي المناقب القديم : «عطافاً» بالعين المهملة والفاء، من العطف بمعنى الميل والشفقة، ولعله أظهر لفظاً ومعنى.

(٤) الوسم : أثر الكيّ، يقال : وسمته ـ كوعدته ـ وسماً.

(٥) الورود : حضور الماء للشرب، والإيراد : الإحضار. والشرب ـ بالكسر : الحظ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وميراث النبوة.

(٦) الكلم : الجرح. والرحب ـ بالضم ـ السعة.

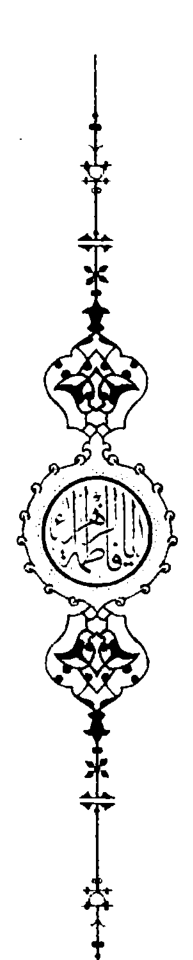
(٧) الجُرح ـ بالضم : الاسم، والجَرح ـ بالفتح : المصدر. ولما يندمل أي : لم يصلح بعد.

(٨) ابتداراً : مفعول له للأفعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل. زعمتم خوف الفتنة، أي : ادعيتم وأظهرتم للناس كذباً وخديعة أنا إنما اجتمعنا في السقيفة دفعاً للفتنة، مع أن الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها، وهو عين الفتنة. والالتفات في سقطوا لموافقة الآية الكريمة.

(٩) سورة التوبة : ٤٩.

وَأَنّى تُؤْفَكُونَ؟، وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ[١]، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ[٢]، وَأَعْلامُهُ بَاهِرَةٌ، وَزَوَاجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟!، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[٣]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٤].

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إلاَّ رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُهَا[٥]، ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَهَا وَتُهِيجُونَ جَمْرَتَها[٦]، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطَانِ الْغَوِيِّ[٧]، وَإطْفاءِ أَنْوارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَإهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ



---

(١) هيهات: للتبعيد، وفيه معنى التعجب، كما صرح به الشيخ الرضي، وكذلك كيف وأنى تستعملان في التعجب. وأفَكَهُ ـ كضربه: صرفه عن الشيء وقلبه، أي: إلى أين يصرفكم الشيطان وأنفسكم والحال أن كتاب الله بينكم. وفلان بين أظهر قوم وبين ظهرانيهم، أي: مقيم بينهم، محفوف من جانبيه، أو من جوانبه بهم.

(٢) الزاهر: المتلألئ المشرق.

(٣) سورة الكهف: ٥٠. أي: بدلاً من الكتاب ما اختاروه من الحكم الباطل.

(٤) سورة آل عمران: ٨٥.

(٥) رَيْث ـ بالفتح ـ بمعنى قدر، وهي كلمة يستعملها أهل الحجاز كثيراً، وقد يستعمل مع ما يقال: لم يلبث إلا ريثما فعل كذا. وضمير المؤنث راجع إلى فتنة وفاة الرسول صلى الله عليه وآله. ونفرت الدابة ـ بالفتح: ذهابها وعدم انقيادها. والسلِس ـ بكسر اللام: السهل الليّن المُنقاد، ذكره الفيروز آبادي (القاموس المحيط ج٢ ص٢٢٢). والقِياد ـ بالكسر: ما يقاد به الدابة، من حبل وغيره.

(٦) في الصحاح: «ورى الزند ـ بالفتح ـ يري ورياً، إذا خرجت ناره، وفيه لغة أخرى: وري الزند يري ـ بالكسر فيهما، وأوريته أنا، وكذلك ورّيته تورية، وفلان يستوري زناد الضلالة» (الصحاح ج٦ ص٢٥٢٢). ووَقدة النار ـ بالفتح ـ وقودها، ووقدها: لهبها. الجمرة: المتوقد من الحطب، فإذا برد فهو فحم، والجمر ـ بدون التاء ـ جمعها.

(٧) الهِتاف ـ بالكسر: الصياح، وهتف به، أي: دعاه.

الصَّفِيِّ(١)، تُسِرُّونَ حَسْواً فِي ارْتِغاءٍ(٢)، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوِلْدِهِ فِي الْخَمَرِ وَالْضَّراءِ(٣)، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى، وَوَخْزِ السِّنَانِ فِي الْحَشَا(٤)، وَأَنْتُمْ الآنَ تَزْعُمُونَ أَنْ لاَ إِرْثَ لَنا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٥). أَفَلاَ تَعْلَمُونَ؟! بَلَى قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ(٦).

---

(١) إهماد النار: إطفاؤها بالكلية. والحاصل: أنكم إنما صبرتم حتى استقرت الخلافة المغصوبة عليكم، ثم شرعتم في تهييج الشرور والفتن واتّباع الشيطان وإبداع البدع وتغيير السنن.

(٢) الإسرار ضد الإعلان. والحَسْو ـ بفتح الحاء وسكون السين المهملتين: شرب المرق وغيره شيئاً بعد شيء. والارتغاء: شرب الرغوة، وهو زبد اللبن، قال الجوهري: «الرّغوة ـ فيها ثلاث لغات...: زبد اللبن... وارتغيت: شربت الرغوة، وفي المثل: يسرّ حسواً في ارتغاء، يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره. قال الشعبي ـ لمن سأله عن رجل قبّل أم امرأته ـ قال: يسرّحسواً في ارتغائه، وقد حرمت عليه امرأته» (الصحاح ج٦ ص٢٣٦٠). وقال الميداني: «قال أبو زيد والأصمعي: أصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولا يريد غيرها، فيشربها، وهو في ذلك ينال من اللبن، يضرب لمن يريك أنه يعينك وإنما يجر النفع إلى نفسه».

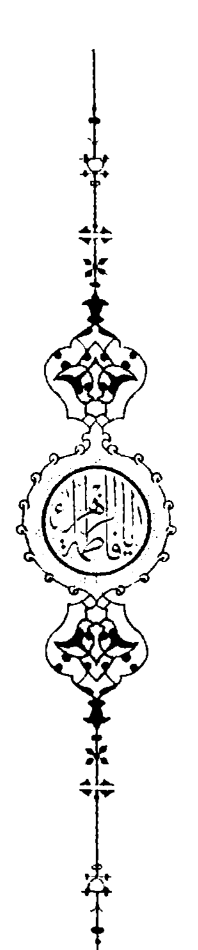
(٣) والخَمَر ـ بالتحريك: ما واراك من شجر وغيره، يقال: توارى الصيد عني في خمر الوادي، ومنه قولهم: دخل فلان في خُمار الناس ـ بالضم، أي: ما يواريه ويستره منهم. والضَّرَاء ـ بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المخففة: الشجر الملتف في الوادي، ويقال لمن ختل صاحبه وخادعه: يدب له الضراء ويمشي له الخمر، وقال الميداني: «قال ابن الاعرابي: الضراء ما انخفض من الأرض».

(٤) الحَز ـ بفتح الحاء المهملة: القطع، أو قطع الشيء من غير إبانة. والمُدى ـ بالضم: جمع مدية، وهي السكين والشفرة. والوخز: الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال: وخزه بالخنجر.

(٥) سورة المائدة: ٥٠.

(٦) كالشمس الضاحية أي: الظاهرة البيّنة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية، أي: علانية.

أَيُّهَا الْمُسْـلِمُونَ أَأُغْلَبُ عَلَى إِرْثِـيْ؟! يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَـةَ، أَفِي كِتَابِ اللهِ أَنْ تَـرِثَ أَبَـاكَ، وَلاَ أَرِثَ أَبِي؟! لَقَدْ جِئْتَ شَـيْئاً فَرِيّـاً[١]، أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُـمْ كِتَـابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُـوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُـمْ، إِذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٢]، وَقَالَ فِيمَـا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْـنِ زَكَرِيَّا عليهما السلام إِذْ قَالَ ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٣]، وَقَـالَ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[٤]، وَقَـالَ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[٥]، وَقَـالَ: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٦]، وزَعَمْتُـمْ أَلَا حُظْـوَةَ لِـي، وَلاَ إِرْثَ مِـنْ أَبِي وَلاَ رَحِمَ بَيْنَنَـا[٧] أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ أَبِـي مِنْهَا؟! أَمْ هَلْ تَقُولُونَ إِنَّ أَهْـلَ مِلَّتَيْنِ لاَ يَتَوَارَثَانِ، أَوَ لَسْـتُ أَنَـا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّـةٍ وَاحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُـمْ أَعْلَمُ بِخُصُـوصِ الْقُـرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِـي وَابْنِ عَمِّـي؟! فَدُونَكَهَا مَخْطُومَـةً مَرْحُولَـةً[٨]، تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْـرِكَ، فَنِعْـمَ الْحَكَـمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ



(١) أي: أمراً عظيماً بديعاً، وقيل: أي: أمراً منكراً قبيحاً، وهو مأخوذ من الافتراء، بمعنى الكذب.

(٢) سورة النمل: ١٦.

(٣) سورة مريم: ٥ـ٦.

(٤) سورة الأنفال: ٧٥.

(٥) سورة النساء: ١١.

(٦) سورة البقرة: ١٨٠.

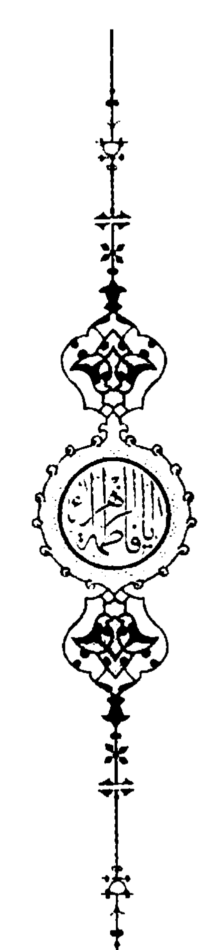
(٧) الحُظْوة ـ بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة: المكانة والمنزلة، ويقال: حظيت المرأة عند زوجها إذا دنت من قلبه.

(٨) الضمير راجع إلى فدك المدلول عليها بالمقام، والأمر بأخذها للتهديد. والخِطام ـ بالكسر ـ كل ما يوضع في أنف البعير ليقاد به. والرحل ـ بالفتح ـ للناقة كالسرج للفرس،

مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ ما تَخْسَرُونَ[1]، وَلاَ يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[2]. ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِهَا نَحْوَ الْأَنْصارِ[3] فَقالَتْ:

يا مَعشَرَ الْفِتْيَةِ[4]، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ[5]، وَحَضَنَةَ الْإِسْلام، ما هٰذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي[6]، وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟![7] أَما كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبِي يَقُولُ: «اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»؟ سَرْعَانَ مَا أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا

---



ورَحَلَ البعيرَ ـ كمنع ـ شدّ على ظهره الرحل. شبّهتها ﷺ في كونها مسلمة لا يعارضه في أخذها أحد بالناقة المنقادة المهيّأة للركوب.

(١) كلمة (ما) مصدرية، أي: في القيامة يظهر خسرانكم.

(٢) أي: لكل خبر ـ يريد نبأ العذاب أو الإيعاد به ـ وقتُ استقرارٍ ووقوع. وسوف تعلمون ـ عند وقوعه ـ من يأتيه عذاب يخزيه. والاقتباس من موضعين: أحدهما سورة الانعام، والآخر في سورة هود في قصة نوح ﷺ، حيث قال: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، فالعذاب الذي يخزيهم الغرق، والعذاب المقيم عذاب النار.

(٣) الطَرف ـ بالفتح ـ مصدر طرفت عين فلان إذا نظرت، وهو أن ينظر ثم يغمض، والطرف ـ أيضاً ـ العين.

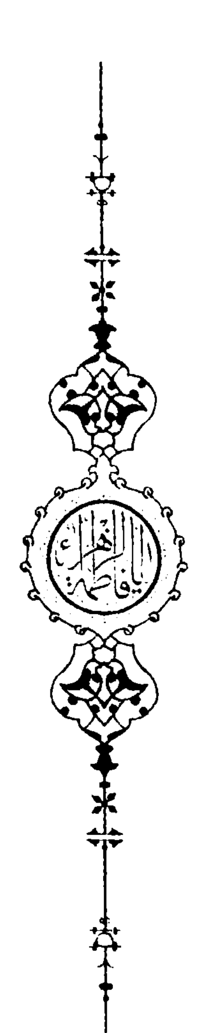
(٤) المعشر: الجماعة. والفتية ـ بالكسر: جمع فتى، وهو الشاب والكريم السخي.

(٥) الأعضاد جمع عضد ـ بالفتح: الأعوان، يقال: عضدته كنصرته لفظاً ومعنى.

(٦) قال الجوهري: «ليس في فلان غميزة، أي: مطعن» (الصحاح ج٣ ص٨٨٩)، ونحوه ذكر الفيروز آبادي (القاموس المحيط ج٢ ص١٨٥)، وهو لا يناسب المقام إلا بتكلف. وقال الجوهري: «رجل غمز أي ضعيف» (الصحاح ج٣ ص٨٨٩). وقال الخليل: «الغميزة ضعفة في العمل وجهلة في العقل، وتقول: سمعت كلمة فاغتمزتها في عقله، أي: علمت أنه أحمق» كتاب العين ج٤ ص٣٨٦). وهذا المعنى أنسب.

(٧) السنة ـ بالكسر ـ مصدر وسن يوسن، كعلم يعلم، وسنا وسنة، والسنة: أول النوم، أو النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو. والظُلامة ـ بالضم ـ كالمظلمة ـ بالكسر: ما أخذه الظالم منك فتطلبه عنده. والغرض تهييج الأنصار لنصرتها، أو توبيخهم على عدمها.

**إِهَالَةً[١]، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أُحَاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أَطْلُبُ وَأُزَاوِلُ، أَتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله؟ فَخَطْبٌ جَلِيلٌ[٢] اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ[٣]، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ[٤]، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَأَكْدَتْ الآمَالُ[٥]، وَخَشَعَتْ الْجِبَالُ، وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ[٦]، وَأُزِيلَتْ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَمَاتِهِ، فَتِلْكَ وَاللهِ النَّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى،**



---

(١) سُرعان ـ مثلثة السين ـ وعجلان ـ بفتح العين ـ كلاهما من أسماء الأفعال، بمعنى سرع وعجل، وفيهما معنى التعجب، أي: ما أسرع وأعجل. والإهالة ـ بكسر الهمزة ـ الودك، وهو دسم اللحم، وقال الفيروز آبادي: «وأما سرعان ذا إهالة فأصله أن رجلاً كانت له نعجة عجفاء، ورعامها يسيل من منخريها لهزالها، فقيل له: ما هذا؟ فقال: ودكها فقال السائل ذلك، ونصب إهالة على الحال، أي: سَرُع هذا الرغام حال كونه إهالة، أو تمييز على تقدير نقل الفعل، كقولهم: تصبب زيد عرقاً، والتقدير: سرعان إهالة هذه، يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته» (القاموس المحيط ج٣ ص٣٧). والرُّعام ـ بالضم: ما يسيل من أنف الشاة والخيل، ولعل المثل كان بلفظ: «عجلان»، فاشتبه على الفيروز آبادي أو غيره، أو كان كل منهما مستعملاً في هذا المثل.
وغرضها (صلوات الله عليها) التعجب من تعجيل الأنصار ومبادرتهم إلى إحداث البدع وترك السنن والأحكام، والتخاذل عن نصرة عترة سيد الأنام، مع قرب عهدهم به، وعدم نسيانهم ما أوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتها وأخذ حقها ممن ظلمها.
ولا يبعد أن يكون المثل إخباراً مجملاً بما يترتب على هذه البدعة من المفاسد الدينية وذهاب الآثار النبوية.

(٢) الخطب ـ بالفتح: الشأن والأمر، عظم أو صغر.

(٣) الوهي ـ كالرمي: الشق والخرق، يقال: وهي الثوب إذا بلي وتخرق. واستوسع واستنهر ـ استفعل ـ من النهر ـ بالتحريك ـ بمعنى السعة، أي: اتسع.

(٤) الفتق: الشق، والرتق ضده، وانفتق أي: انشق، والضمائر المجرورات الثلاثة راجعة إلى الخطب، بخلاف المجرورين بعدها، فإنهما راجعان إلى النبي صلى الله عليه وآله.

(٥) يقال: أكدى فلان أي: بخل، أو قلّ خيرة.

(٦) حريم الرجل ما يحميه ويقاتل عنه، والحرمة ما لا يحل انتهاكه.

لاَ مِثْلُهَا نَازِلَةٌ[١] وَلاَ بَائِقَةٌ عَاجِلَةٌ[٢]، أعْلَنَ بِهَا كِتَابُ اللهِ ـ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ـ فِي أَفْنِيَتِكُمْ[٣]، وفِي مُمْسَاكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ[٤]، هِتَافاً وَصُرَاخاً وَتِلاَوَةً وَإلْحَاناً[٥]، وَلَقَبْلُهُ مَا حَلَّ بِأنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضَاءٌ حَتْمٌ[٦]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٧]. أيْهاً بَنِي قَيْلَةَ[٨]، أَأُهْضَمُ تُراثَ أبِي[٩] وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنِّي

---

(١) النازلة: الشديدة.

(٢) البائقة: الداهية.

(٣) فناء الدار ـ ككساء: العرصة المتسعة أمامها.

(٤) الممسي والمصبح ـ بضم الميم فيهما ـ مصدران وموضعان من الإصباح والإمساء.

(٥) الهتاف ـ بالكسر: الصياح. والصراخ ـ كغراب: الصوت، أو الشديد منه. والتلاوة ـ بالكسر ـ القراءة. والإلحان: الإفهام، يقال: ألحنه القول، أي: أفهمه إياه، ويحتمل أن يكون من اللحن بمعنى الغناء والطرب. قال الجوهري: «اللحن واحد الألحان واللحون، ومنه الحديث: (اقرؤوا القرآن بلحون العرب)، وقد لحن في قراءته إذا طرب بها وغرد، وهو ألحن الناس، إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء» (الصحاح ج٦ ص٢١٩٣). ويمكن أن يُقرأ على هذا بصيغة الجمع أيضاً، والأول أظهر.

(٦) الحكم الفصل هو المقطوع به الذي لا ريب فيه ولا مرد له، وقد يكون بمعنى القاطع الفارق بين الحق والباطن. والحتم ـ في الأصل: إحكام الأمور. والقضاء الحتم: هو الذي لا يتطرق إليه التغيير.

(٧) سورة آل عمران: ١٤٤. خلت أي: مضت. والانقلاب على العقب: الرجوع القهقرى، أريد به الارتداد بعد الإيمان. والشاكرون: المطيعون المعترفون بالنعم الحامدون عليها.

(٨) أيهاً ـ بفتح الهمزة والتنوين ـ بمعنى هيهات. وبنو قيلة: الأوس والخزرج، قبيلتا الانصار. وقيلة ـ بالفتح ـ اسم أمّ لهم قديمة، وهي قيلة بنت كاهل.

(٩) الهضم: الكسر، يقال: هضمت الشيء، أي: كسرته، وهضمه حقه واهتضمه إذا ظلمه وكسر عليه حقه. والتُّراث ـ بالضم ـ الميراث، وأصل التاء فيه واو.

وَمَسْـمَعٍ(١)، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ(٢)؟ تَلْبَسُكُمْ الدَّعْوَةُ، وتَشْـمُلُكُمْ الْخَبْرَةُ(٣)، وَأَنْتُـمْ ذَوُو الْعَـدَدِ وَالْعُـدَّةِ، وَالأَدَاةِ وَالْقُـوَّةِ، وَعِنْدَكُمْ السِّـلاحُ وَالْجُنَّةُ، تُوَافِيكُـمْ الدَّعْـوَةُ فَـلا تُجِيبُـونَ، وَتَأْتِيكُـمْ الصَّرْخَةُ فَـلا تُغِيثُـونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُـونَ بِالْكِفَـاحِ(٤)، مَعْرُوفُـونَ بِالْخَيْـرِ وَالصَّـلاحِ، وَالنُّجَبَـةُ الَّتِـي انْتُجِبَـتْ(٥)، وَالْخِيَرَةُ الَّتِـي اخْتِيـرَتْ لَنَا أَهْلَ الْبَيْـتِ(٦)، قَاتَلْتُـمْ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمْ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَنَاطَحْتُمْ الأُمَمَ(٧)، وَكَافَحْتُمْ الْبُهَمَ(٨)، فَلا نَبْرَحُ

---

(١) أي: بحيث أراكم وأسمعكم كلامكم.

(٢) المبتدأ في أكثر النسخ بالباء الموحدة مهموزاً، فلعل المعنى أنكم في مكان يبتدأ منه الأمور والأحكام، والأظهر أنه تصحيف المنتدى ـ بالنون غير مهموزة، بمعنى المجلس، وكذا في المناقب القديم، فيكون المجمع كالتفسير له، والغرض الاحتجاج عليهم بالاجتماع الذي هو من أسباب القدرة على دفع الظلم.

(٣) وتلبسكم ـ على بناء المجرد ـ أي: تغطيكم وتحيط بكم. والدعوة: المرة من الدعاء، أي: النداء، كالخَبرة ـ بالفتح ـ من الخُبر ـ بالضم ـ بمعنى العلم، أو الخِبرة ـ بالكسر ـ بمعناه، والمراد بالدعوة نداء المظلوم للنصرة، وبالخبرة علمهم بمظلوميتها (صلوات الله عليها)، والتعبير بالإحاطة والشمول للمبالغة، أو للتصريح بأن ذلك قد عمّهم جميعاً، وليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض أو الأكثر.

(٤) الكفاح: استقبال العدو في الحرب بلا ترس ولا جُنّة، ويقال: فلان يكافح الأمور، أي: يباشرها بنفسه.

(٥) النجبة ـ كهمزة: النجيب الكريم، وقيل: يحتمل أن يكون بفتح الخاء المعجمة أو سكونها، بمعنى المنتخب المختار، ويظهر من ابن الاثير أنها بالسكون تكون جمعاً.

(٦) الخِيَرة ـ كعنبة: المفضل من القوم المختار منهم.

(٧) ناطحتم الأمم، أي: حاربتم الخصوم ودافعتموهم بجدّ واهتمام، كما يدافع الكبش قرنه بقرنه.

(٨) البهم: الشجعان. ومكافحتها: التعرض لدفعها من غير توانٍ وضعف.

أَوْ تَبْرَحُـونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِـرُونَ[١] حَتَّـى إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الإِسْـلامِ[٢]، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيَّامِ[٣]، وَخَضَعَتْ نَعَرَةُ الشِّرْكِ[٤]، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ[٥]، وَخَمَدَتْ نِيـرَانُ الْكُفْـرِ[٦]، وَهَـدَأَتْ دَعْـوَةُ الْهَـرْجِ[٧]، وَاسْتَوْسَـقَ نِظَامُ الدِّيـنِ[٨]، فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْـدَ الْبَيَانِ[٩]، وَأَسْـرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْـلانِ، وَنَكَصْتُمْ



(١) تبرحون معطوف على مدخول النفي، فالمنفي أحد الأمرين، ولا ينتفي إلا بانتفائهما معاً، فالمعنى لا نبرح ولا تبرحون نأمركم فتأتمرون، أي: كنا لم نزل آمرين وكنتم مطيعين لنا في أوامرنا.

(٢) دوران الرحى كناية عن انتظام أمرها، والباء للسببية.

(٣) درّ اللبن: جريانه وكثرته. والحلب ـ بالفتح ـ استخراج ما في الضرع من اللبن، وبالتحريك اللبن المحلوب، والثاني أظهر، للزوم ارتكاب تجوّز في الإسناد وفي المسند إليه على الأول.

(٤) النغرة ـ بالنون والعين والراء المهملتين، مثال همزة: الخيشوم والخيلاء والكبر، أو بفتح النون، من قولهم: نعر العرق بالدم، أي: فار، فيكون الخضوع بمعنى السكون، أو بالغين المعجمة، من نغرت القدر، أي: فارت. وقال الجوهري: «نغر الرجل ـ بالكسر ـ أي: اغتاض، قال الأصمعي: هو الذي يغلي جوفه من الغيظ... ابن السكيت: يقال: ظل فلان يتنغر على فلان، أي: يتذمر عليه» (الصحاح ج٢ ص٨٣٣). وفي أكثر النسخ بالثاء المثلثة المضمومة والغين المعجمة، وهي نقرة النحر بين الترقوتين، فخضوع ثغرة الشرك كناية عن محقه وسقوطه، كالحيوان الساقط على الأرض، نظيره قول أمير المؤمنين عليه السلام: أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، أي: صدورهم.

(٥) الإفك ـ بالكسر ـ: الكذب، وفورة الإفك غليانه وهيجانه.

(٦) خمدت النار أي: سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، ويقال: همدت ـ بالهاء ـ إذا طفئ جمرها، وفيه إشعار بنفاق بعضهم وبقاء مادة الكفر في قلوبهم.

(٧) الهرج: الفتنة والاختلاط، وفي الحديث: الهرج: القتل.

(٨) استوسق أي: اجتمع وانضم، من الوسق ـ بالفتح، وهو ضم الشيء إلى الشيء، واتساق الشيء: انتظامه.

(٩) أنّى: ظرف مكان بمعنى أين، وقد يكون بمعنى كيف، أي: من أين جرتم، وما كان منشأه. وجرتم: إما بالجيم، من الجور، وهو الميل عن القصد والعدول عن الطريق، أي:

بَعْدَ الإِقْدَامِ(١)، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيمَانِ؟ ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢).

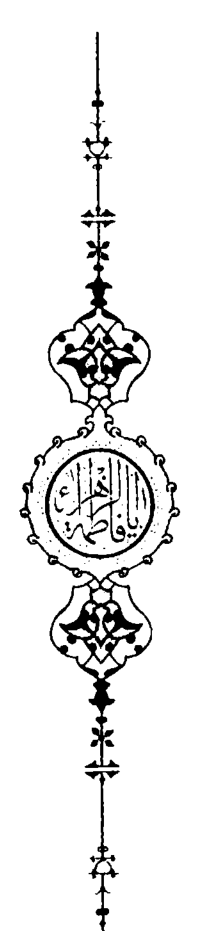


لماذا تركتم سبيل الحق بعد ما تبين لكم؟، أو بالحاء المهملة المضمومة، من الحور، بمعنى الرجوع أو النقصان، يقال: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أي: من النقصان بعد الزيادة، وإما بكسرها، من الحيرة.

(١) النكوص: الرجوع إلى خلف.

(٢) سورة التوبة: ١٣. نكث العهد ـ بالفتح: نقصه. والأيمان ـ جمع اليمين ـ وهو القسم. والمشهور بين المفسرين أن الآية نزلت في اليهود الذين نقضوا عهودهم وخرجوا مع الأحزاب، وهموا بإخراج الرسول من المدينة، وبدأوا بنقض العهد والقتال. وقيل: نزلت في مشركي قريش وأهل مكة، حيث نقضوا أيمانهم التي عقدوها مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم أعداءهم، فعاونوا بني بكر على خزاعه، وقصدوا إخراج الرسول صلى الله عليه وآله من مكة حين تشاوروا بدار الندوة، وأتاهم إبليس بصورة شيخ نجدي... إلى آخر ما ورد، فهم بدؤوا بالمعاداة والمقاتلة في هذا الوقت، أو يوم بدر، أو بنقض العهد. والمراد بالقوم الذين نكثوا أيمانهم في كلامها عليها السلام: إما الذين نزلت فيهم الآية، فالغرض بيان وجوب قتال الغاصبين للإمامة ولحقّها، الناكثين لما عهد إليهم الرسول صلى الله عليه وآله في وصيه عليه السلام وذوي قرباه وأهل بيته، كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت الآية فيهم، أو المراد بهم الغاصبون لحق أهل البيت عليهم السلام، فيكون المراد بنكثهم أيمانهم نقض ما عهدوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله حين بايعوه من الانقياد له في أوامره والانتهاء عند نواهيه، وأن لا يضمروا له العداوة، فنقضوه وناقضوا ما أمرهم به، والمراد بقصدهم إخراج الرسول صلى الله عليه وآله عزمهم على إخراج من هو كنفس الرسول صلى الله عليه وآله وقائم مقامه بأمر الله وأمره عن مقام الخلافة، وعلى إبطال أوامره ووصاياه في أهل بيته النازل منزلة إخراجه من مستقره، وحينئذ يكون من قبيل الاقتباس.

أَلا وَقَـدْ أرى أنْ قَـدْ أَخْلَدْتُمْ إلَـى الْخَفْـضِ، وَأبْعَدْتُمْ مَنْ هُـوَ أَحَقُّ بالْبَسْـطِ وَالْقَبْضِ[١]، وَخَلَوْتُـمْ بِالدَّعَـةِ[٢]، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّـعَةِ، فَمَجَجْتُمْ مَا وَعَيْتُمْ[٣]، وَدَسَـعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ[٤]، فَـ ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[٥].



(١) أخلد إليه: ركن ومال. والخفض ـ بالفتح: سعة العيش. والمراد بمن هو أحق بالبسط والقبض أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وصيغة التفضيل مثلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ (سورة الفرقان: ١٥).

(٢) خلوت بالشيء: انفردت به، واجتمعت معه في خلوة. والدعة: الراحة والسكون.

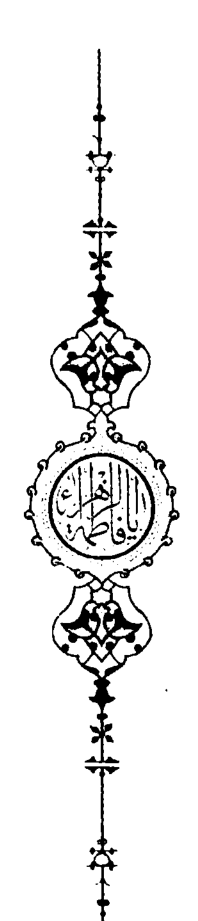
(٣) مج الشراب من فيه: رمى به. ووعيتم أي: حفظتم.

(٤) الدسع ـ كالمنع ـ الدفع والقيء، وإخراج البعير جرّته إلى فيه. وساغ الشراب يسوغ سوغاً إذا سهل مدخله في الحلق، وتسوغه: شربه بسهولة.

(٥) سورة إبراهيم: ٨. وصيغة تكفروا في كلامها ﷺ إما من الكفران وترك الشكر، كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (سورة إبرهيم: ٧-٨)، أو من الكفر بالمعنى الأخص، والتغيير في المعنى لا ينافي الاقتباس، مع أن في الآية أيضاً يحتمل هذا المعنى، والمراد إن تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً من الثقلين فلا يضر ذلك إلا أنفسكم، فإنه سبحانه غني عن شكركم وطاعتكم، مستحق للحمد في ذاته، أو محمود تحمده الملائكة بل جميع الموجودات بلسان الحال، وضرر الكفران عائد إليكم حيث حرمتم من فضله تعالى ومزيد إنعامه وإكرامه.

والحاصل: أنكم إنما تركتم الإمام بالحق وخلعتم بيعته من رقابكم ورضيتم ببيعة أبي بكر لعلمكم بأن أمير المؤمنين ﷺ لا يتهاون ولا يداهن في دين الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ويأمركم بارتكاب الشدائد في الجهاد وغيره، وترك ما تشتهون من زخارف الدنيا، ويقسم الفيء بينكم بالسوية، ولا يفضل الرؤساء والأمراء، وأن أبا بكر رجل سلس القياد، مداهن في الدين لإرضاء العباد، فلذا رفضتم الإيمان، وخرجتم عن طاعته سبحانه إلى طاعة الشيطان، ولا يعود وباله إلا إليكم.

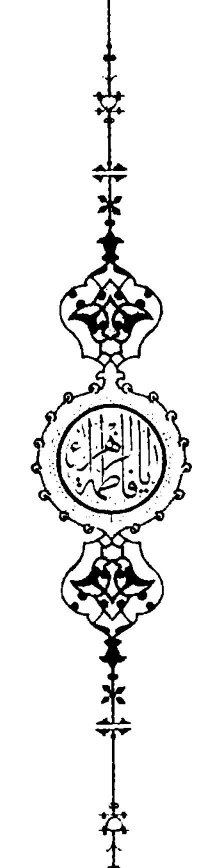
أَلاَ وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هَـذَا عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خَامَرَتْكُمْ(١)، وَالْغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرَتْهَا قُلُوبُكُمْ(٢)، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ(٣)، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ(٤)، وَخَوَرُ الْقَنَاةِ(٥)، وَبَثَّةُ الصَّدْرِ(٦)، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ(٧)، فَدُونَكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبِرَةَ الظَّهْرِ(٨)، نَقِبَةَ الْخُفِّ(٩)، بَاقِيَةَ



(١) الخذلة: ترك النصر. وخامرتكم أي: خالطتكم.
(٢) الغدر: ضد الوفاء. واستشعره أي: لبسه، والشعار: الثوب الملاصق للبدن.
(٣) الفيض ـ في الأصل ـ كثرة الماء وسيلانه، يقال: فاض الخبر، أي: شاع، وفاض صدره بالسر، أي: باح به وأظهره، ويقال: فاضت نفسه، أي: خرجت روحه، والمراد به هنا إظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهم وغلبة الحزن.
(٤) النفث بالفم شبيه بالنفخ، وقد يكون للمغتاظ تنفس عالٍ تسكيناً لحر القلب، وإطفاء لنائرة الغضب.
(٥) الخور ـ بالفتح والتحريك: الضعف. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح، وقيل: كل عصا مستوية أو معوجة قناة، ولعل المراد بخور القنا ضعف النفس عن الصبر على الشدة وكتمان الضر، أو ضعف ما يعتمد عليه في النصر على العدو، والأول أنسب.
(٦) البث: النشر والإظهار، والهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه، أي: يفرقه.
(٧) تقدمة الحجة: إعلام الرجل قبل وقت الحاجة، قطعاً لاعتذاره بالغفلة. والحاصل: أن استنصاري منكم، وتظلمي لديكم، وإقامة الحجة عليكم، لم يكن رجاء للعون والمظاهرة، بل تسلية للنفس، وتسكيناً للغضب، وإتماماً للحجة، لئلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.
(٨) الحقب ـ بالتحريك ـ حبل يُشد به الرحل إلى بطن البعير، يقال: أحقبت البعير، أي: شددته به، وكل ما شد في مؤخر رحل أو قتب فقد احتقب، ومنه قيل: احتقب فلان الإثم، كأنه جمعه واحتقبه من خلفه، فظهر أن الأنسب في هذا المقام أحقبوها ـ بصيغة الافعال ـ أي: شدوا عليها ذلك وهيئوها للركوب، لكن فيما وصل إلينا من الروايات على بناء الافتعال. والدبر ـ بالتحريك ـ الجرح في ظهر البعير، وقيل: جرح الدابة مطلقاً.
(٩) النقب ـ بالتحريك: رقة خف البعير.

الْعَـارِ[١]، مَوْسُـومَةً بِغَضَـبِ الْجَبَّـارِ وَشَـنَارِ الأَبَـدِ[٢]، مَوْصُولَـةً بِنَارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِـي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِـدَةِ[٣]. فَبِعَيْـنِ اللهِ مَا تَفْعَلُـونَ[٤]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٥]، وَأَنَـا ابْنَـةُ نَذِيـرٍ لَكُـمْ بَيْـنَ يَـدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ[٦]، فَاعْمَلُوا إِنَّا عَامِلُونَ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ.

فَأَجَابَهَا أَبُوبَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ، لَقَدْ كَانَ أَبُـوكِ بِالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفَـاً كَرِيمَاً، رَؤُوفَاً رَحِيمَـاً، وَعَلَـى الْكَافِرِينَ عَذَابَاً أَلِيمَاً وَعِقَابَاً عَظِيمَاً، إِنْ عَزَوْنَـاهُ وَجَدْنَاهُ أَبَاكِ دُونَ النِّسَـاءِ، وَأَخَاً لِبَعْلِكِ دُونَ الأَخِـلَّاءِ، آثَرَهُ عَلَـى كُلِّ حَمِيمٍ، وَسَـاعَدَهُ فِـي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لا يُحِبُّكُمْ إِلاّ كُلُّ سَـعِيدٍ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إِلاّ شَـقِيٌّ بَعِيدٌ، وَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُـولِ اللهِ ﷺ الطَّيِّبُونَ، وَالْخِيَـرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ، عَلَـى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنَـا، وَإِلَى الْجَنَّةِ مَسَـالِكُنَا، وَأَنْتِ يَا خَيْرَةَ النِّسَـاءِ وَابْنَةَ خَيْـرِ الأَنْبِيَاءِ، صَادِقَـةٌ فِي قَوْلِكِ،



---

(١) العار الباقي: عيب لا يكون في معرض الزوال.

(٢) وسمته وسماً وسِمَة إذا أثرت فيه بِسِمَة وكيٍّ. والشنار: العيب والعار.

(٣) نار الله الموقدة: المؤججة على الدوام. والاطلاع على الأفئدة: إشرافها على القلوب، بحيث يبلغها ألمها كما يبلغ ظواهر البدن، وقيل معناه أن هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا.

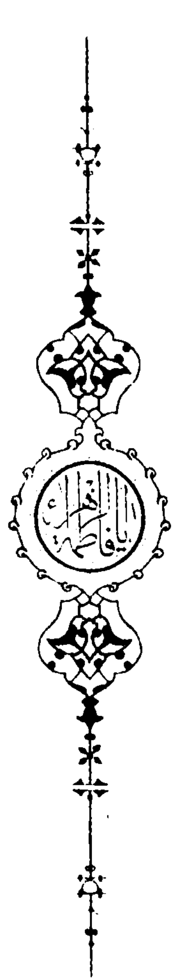
(٤) أي: متلبس بعلم الله أعمالكم ويطلع عليها كما يعلم أحدكم ما يراه ويبصره، وقيل في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (سورة القمر: ١٤) أن المعنى تجري بأعين أوليائنا من الملائكة والحفظة.

(٥) سورة الشعراء: ٢٢٧. والمنقلب: المرجع والمنصرف، و: «أيّ» منصوب على أنه صفة مصدر محذوف، والعامل فيه ينقلبون، لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه، وإنما يعمل فيه ما بعده، والتقدير: سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلاباً أيَّ انقلاب.

(٦) أي: أنا ابنة من أنذركم بعذاب الله على ظلمكم، فقد تمت الحجة عليكم، والأمر في اعملوا وانتظروا للتهديد.

سَابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ، وَلاَ مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ، وَوَاللهِ مَا عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلاَ عَمِلْتُ إلاّ بِإِذْنِهِ، وَالرَّائِدُ لاَ يَكْذِبُ أَهْلَهُ(١)، وَإِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَكَفَى بِهِ شَهِيداً أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لاَ نُوَرِّثُ ذَهَباً وَلاَ فِضَّةً وَلاَ دَاراً وَلاَ عِقَاراً، وَإِنَّمَا نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَمَا كَانَ لَنَا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَلِيِّ الأَمْرِ بَعْدَنَا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ».

وَقَدْ جَعَلْنَا مَا حَاوَلْتِهِ مِنَ الْكُرَاعِ وَالسِّلاحِ يُقاتِلُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَيُجَاهِدُونَ الْكُفَّارَ، وَيُجَالِدُونَ الْمَرَدَةَ الْفُجَّارَ(٢)، وَذَلِكَ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ أَتَفَرَّدْ بِهِ وَحْدِي، وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِمَا كَانَ الرَّأْيُ فِيهِ عِنْدِي(٣)، وَهَذِهِ حَالِي، وَمَالِي هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ، لا نَزُول عَنْكِ(٤)، وَلا نَدَّخِرُ دُونَكِ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَبِيكِ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ، لا يُدْفَعُ ما لَكِ مِنْ فَضْلِكِ، وَلا يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكِ وَأَصْلِكِ(٥)، حُكْمُكِ نَافِذٌ فِيمَا مَلَكَتْ يَدايَ، فَهَلْ تَرَيْنَ(٦) أَنْ أُخَالِفَ فِي ذلِكِ أَبَاكِ ﷺ؟.



(١) مَثَلٌ استشهد به في صدق الخبر الذي افتراه على النبي ﷺ، والرائد: من يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث، جعل نفسه ـ لاحتماله الخلافة التي هي الرئاسة العامة ـ بمنزلة الرائد للأمة الذي يجب عليه أن ينصحهم ويخبرهم بالصدق.

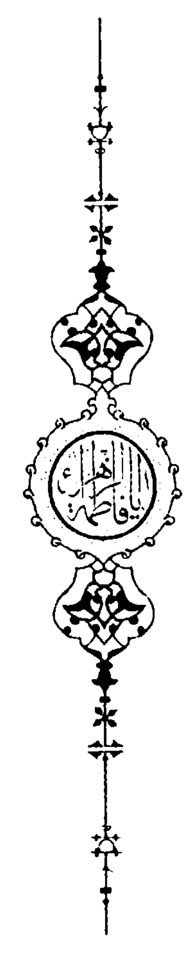
(٢) المجالدة: المضاربة بالسيوف.

(٣) استبد فلان بالرأي، أي: انفرد به واستقل.

(٤) أي: لا نقبض ولا نصرف.

(٥) أي: لا نحط درجتك ولا ننكر فضل أصولك وأجدادك وفروعك وأولادك.

(٦) ترين ـ من الرأي ـ بمعنى الاعتقاد.



فَقَالَتْ عليها السلام: سُبْحَانَ اللهِ! مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ كِتَابِ اللهِ صَادِفاً[١]، وَلاَ لِأَحْكَامِهِ مُخَالِفاً، بَلْ كَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ[٢]، وَيَقْفُو سُورَهُ[٣]، أَفَتَجْمَعُونَ إِلَى الْغَدْرِ اعْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ[٤]، وَهَذا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهٌ بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوَائِلِ فِي حَيَاتِهِ[٥]. هَذَا كِتَابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَنَاطِقاً فَصْلاً، يَقُولُ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُودَ﴾، وَبَيَّنَ عزّ وجلّ فِيمَا وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الأَقْسَاطِ[٦]، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرَائِضِ وَالْمِيرَاثِ، وَأَبَاحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرَانِ وَالإِنَاثِ مَا أَزَاحَ بِهِ عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ، وأَزَالَ التَّظَنِّي وَالشُّبُهَاتِ فِي الْغَابِرِينَ[٧]، كَلاَّ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٨].

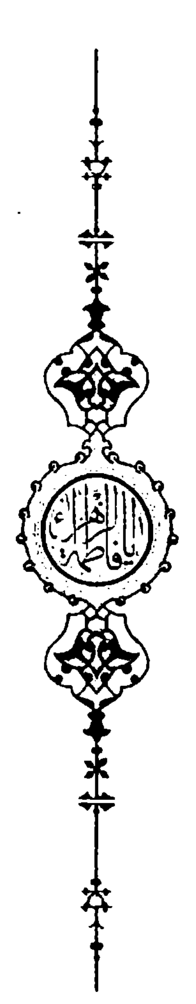
---

(١) الصادف عن الشيء: المعرض عنه.
(٢) الأثر ـ بالتحريك وبالكسر: أثر القدم.
(٣) القفو: الاتباع. والسور ـ بالضم ـ كل مرتفع عال، ومنه سور المدينة، ويكون جمع سورة، وهي كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة، وتجمع على سُوَر ـ بفتح الواو، وفي العبارة يحتملها، والضمائر المجرورة تعود إلى الله تعالى أو إلى كتابه، والثاني أظهر.
(٤) الاعتلال: إبداء العلة والاعتذار. والزور: الكذب.
(٥) البغي: الطلب. والغوائل: المهالك والدواهي، أشارت عليها السلام بذلك إلى ما دبروا في إهلاك النبي صلى الله عليه وآله واستئصال أهل بيته عليهم السلام في العقبتين وغيرهما.
(٦) التوزيع: التقسيم. والقِسط ـ بالكسر ـ الحصة والنصيب.
(٧) الإزاحة: الإذهاب والإبعاد. والتظني: إعمال الظن، وأصله التظنّن. والغابر: الباقي، وقد يطلق على الماضي.
(٨) التسويل: تحسين ما ليس بحسن وتزيينه وتحبيبه إلى الانسان ليفعله أو يقوله، وقيل: هو تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه. فصبر جميل أي: فصبري جميل، أو الصبر الجميل أولى من الجزع الذي لا يغني شيئاً.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَتْ ابْنَتَهُ، أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدَى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ، وَعَيْنُ الْحُجَّةِ، لاَ أُبْعِدُ صَوَابَكِ، وَلاَ أُنْكِرُ خِطَابَكِ، هَؤلاءِ الْمُسْلِمُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكِ، قَلَّدُونِي مَا تَقَلَّدْتُ، وَبِاتِّفَاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ مَا أَخَذْتُ، غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأثِرٍ[1]، وَهُمْ بِذَلِكَ شُهُودٌ.

فَالْتَفَتَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام وَقَالَتْ:

مَعَاشِرَ النَّاسِ الْمُسْرِعَةِ إِلَى قَيْلِ الْبَاطِلِ[2]، الْمُغْضِيَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ الْخَاسِرِ[3]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[4]، كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ[5]، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ، وَلَبِئْسَ مَا تَأَوَّلْتُمْ[6]، وَسَاءَ مَا بِهِ أَشَرْتُمْ[7]، وَشَرَّ مَا مِنْهُ اعْتَضْتُمْ[8]،



(١) المكابرة: المغالبة. والاستبداد: الاستئثار والانفراد بالشيء.

(٢) القيل: بمعنى القول، وكذا القال، وقيل: القول في الخير، والقيل والقال في الشر. وقيل: القول مصدر، والقيل والقال اسمان له.

(٣) الإغضاء: إدناء الجفون، وأغضى على الشيء أي: سكت ورضى به

(٤) سورة محمد :٢٤.

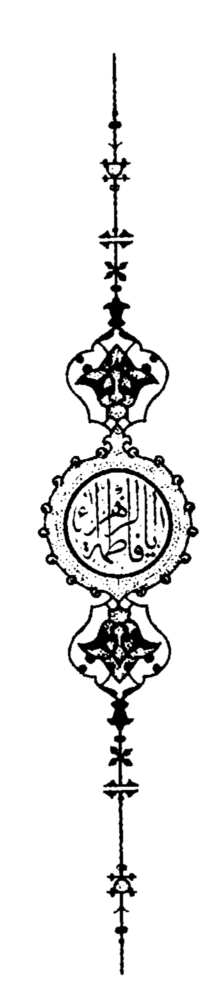
(٥) الرين: الطبع، والتغطية، وأصله: الغلبة.

(٦) التأويل: التصيير والإرجاع، ونقل الشيء عن موضعه، ومنه تأويل الالفاظ، أي: نقل اللفظ عن الظاهر.

(٧) الإشارة: الأمر بأحسن الوجوه في أمر.

(٨) شرّ ـ كفرّ ـ بمعنى ساء. والاعتياض: أخذ العوض والرضا به، والمعنى: ساء ما أخذتم منه عوضاً عما تركتم.

لَتجِدَنَّ ـ وَاللهِ ـ مَحْمِلَهُ ثَقِيلاً[1]، وَغِبَّهُ وَبِيلاً[2]، إِذَا كُشِفَ لَكُمُ الْغِطَاءُ، وَبَانَ مَا وَرَاءَهُ الضَّرَاءُ[3]، وَبَدَا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ[4] وَ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[5].



(١) المحمل ـ كمجلس ـ مصدر.

(٢) الغب ـ بالكسر: العاقبة. والوبال ـ في الأصل: الثقل والمكروه، ويراد به في عرف الشرع عذاب الآخرة، والعذاب الوبيل: الشديد.

(٣) الضراء ـ بالفتح والتخفيف: الشجر الملتف، يقال: توارى الصيد مني في ضراء. والوراء: يكون بمعنى قدّام كما يكون بمعنى خلف، وبالأول فسر قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (سورة الكهف: ٧٩)، ويحتمل أن تكون الهاء زيدت من النساخ أو الهمزة، فيكون على الأخير بتشديد الراء، من قولهم: ورى الشيء تورية، أي: أخفاه، وعلى التقادير فالمعنى: وظهر لكم ما ستره عنكم الضراء.

(٤) أي: ظهر لكم من صنوف العذاب ما لم تكونوا تنتظرونه، ولا تظنونه واصلاً إليكم، ولم يكن في حسبانكم.

(٥) سورة غافر: ٧٨. المبطل: صاحب الباطل، مِن: أبطل الرجل، إذا أتى بالباطل.

# المحتويات








العلامة المولى محمد باقر المجلسي قدس سره




إعداد
أسعد السيد كاظم القاضي